التوحيد

مع العدد
هدية مجانية

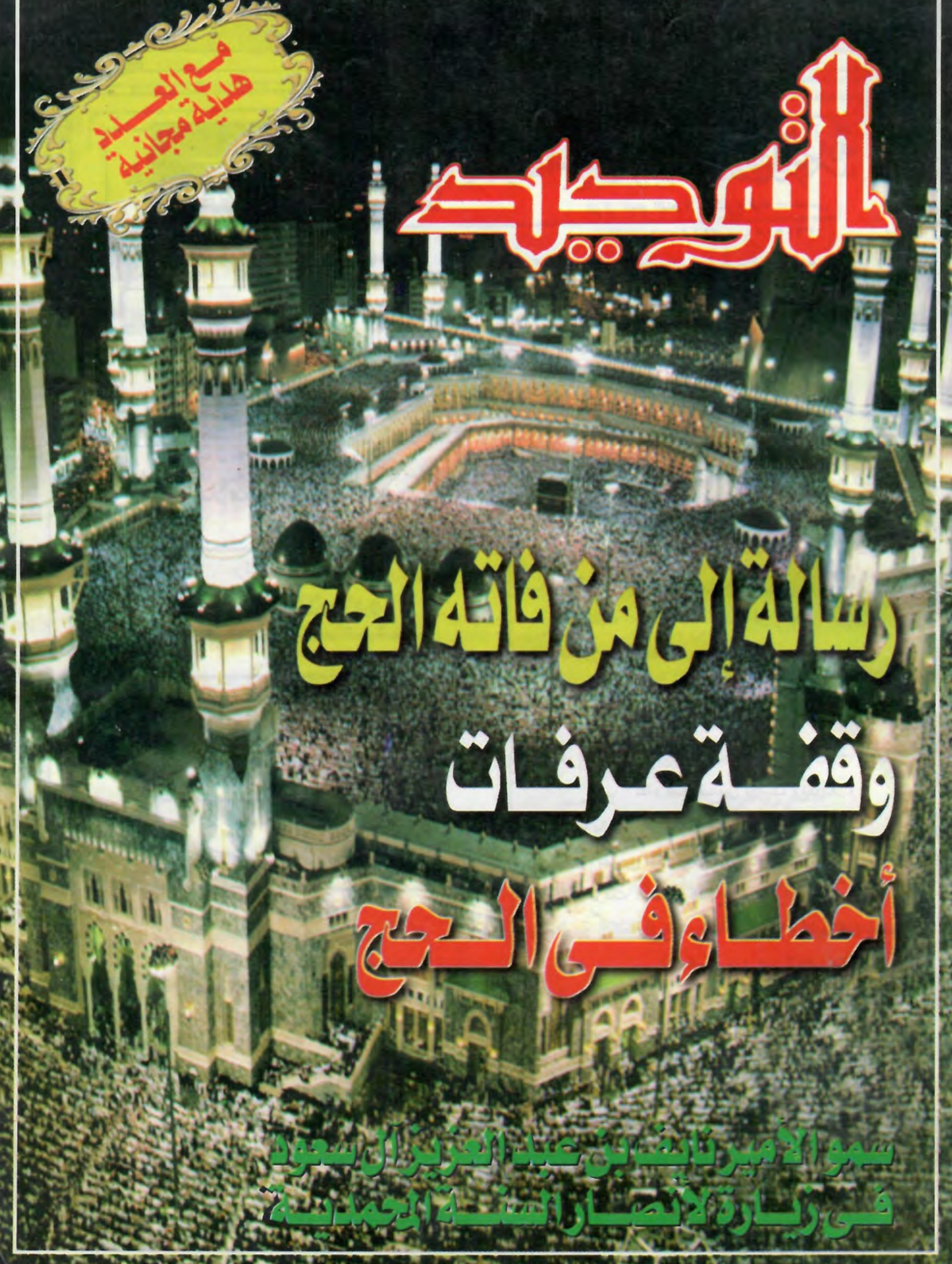

رسالة إلى من فاته الحج

وقفة عرفات

أخطاء فى الحج

سمو الأمير نايف بن عبد العزيز آل سعود
فى زيارة لأنصار السنة المحمدية

بسم الله الرحمن الرحيم

التوحيد

مجلة إسلامية . ثقافية . شهرية

رئيس التحرير
صفوت الشوادفي

سكرتير التحرير
جمال سعد حاتم

المشرف الفني
حسين عطا القراط

الاشتراك السنوي :
١- في الداخل ١٠ جنيهات (بحوالة بريدية باسم : مجلة التوحيد- على مكتب عابدين .
٢- في الخارج ٢٠ دولارًا أو ٧٥ ريالاً سعوديًا أو ما يعادلها.
ترسل القيمة بحوالة بريدية على مكتب عابدين أو بنك فيصل الإسلامي- فرع القاهرة- باسم: مجلة التوحيد- أنصار السنة (حساب رقم/ ١٩١٥٩٠).

صاحبة الامتياز
جماعة أنصار السنة المحمدية
المركز العام القاهرة ٨ شارع قوله - عابدين
هاتف : ٣٩١٥٥٧٦ - ٣٩١٥٤٥٦

في هذا العدد

الافتتاحية : الرئيس العام : من أخطاء الحج . ٢
كلمة التحرير : رئيس التحرير : الحج : تنبيهات وتعريفات . ٦
باب التفسير : د . عبد العظيم بدوي : لماذا يُحج البيت . ١٠
باب السنة : الشيخ / محمد علي عبد الرحيم : الحج . ١٤
موضوع العدد : د . محمد بن سعد الشويعر : خواطر حاج . ٢٠
رسالة والرد عليها : الرئيس العام . ٢٤
أسئلة القراء عن الأحاديث : الشيخ أبو إسحاق الحويني . ٢٨
الفتاوى : لجنة الفتوى . ٣٢
عقائد الصوفية : أ. محمود المراكبي :
الغلو في شأن المشايخ . ٣٨
باب السيرة : الشيخ عبد الرازق السيد عيد :
لقاء التعارف بين يوسف وإخوته . ٤٢
مرحبًا بالحوار غير المخادع : لواء أحمد عبد الوهاب ٤٦
التعريف بصحيح البخاري : الشيخ أسامة سليمان ٤٨
وقفة عرفات : فضيلة الشيخ / سعود الشريم ٥٠
نظرية الإباحة في الشريعة الإسلامية وتطبيقاتها المعاصرة
الشيخ / محمد عبد الحكيم القاضي ٥٤
رسالة إلى من فاته الحج : الشيخ / مجدي قاسم ٥٧
أسماء الفائزين بمسابقة التوحيد الكبرى ٦٢
زيارة الأمير نايف لأنصار السنة ٦٤

التحرير
٨ ش قولة
عابدين - القاهرة
☎ ٣٩٣٦٥١٧
فاكس : ٣٩٣٠٦٦٢
قسم التوزيع والاشتراكات
☎ : ٣٩١٥٤٥٦

مع القراء

عن عبد الله بن عمر ، رضي الله عنهما ، قال : أقبل علينا رسول الله ﷺ فقال : ((يا معشر المهاجرين ، خمسٌ إذا ابتليتم بهنّ ، وأعوذ بالله أن تدركوهن :

١- لم تظهر الفاحشة في قوم قط ، حتى يعلنوا بها ، إلاَّ فشا فيهم الطاعون ، والأوجاع التي لم تكن مضت في أسلافهم الذين مضوا .

٢- ولم ينقضوا المكيال والميزان ، إلا أخذوا بالسنين وشدة المئونة ، وجور السلطان عليهم .

٣- ولم يمنعوا زكاة أموالهم ، إلاَّ منعوا القطر من السماء ، ولولا البهائم لم يمطروا .

٤- ولم ينقضوا عهد الله وعهد رسوله إلا سلَّط الله عليهم عدوًا من غيرهم فأخذوا بعض ما في أيديهم .

٥- وما لم تحكم أئمتهم بكتاب الله ، ويتخيروا مما أنزل الله ، إلا جعل الله بأسهم بينهم)) .

حسنه الألباني ((صحيح ابن ماجه)) (٢/٣٧٠) .

رئيس التحرير

الإخوة كتاب المجلة :

نسعد بتلقي كتاباتكم ومشاركاتكم في المجلة .برجاء كتابة المقالات بخط واضح أو على الآلة أو الكمبيوتر فيما لا يزيد على ثلاث صفحات فلوسكاب .

وجزاكم الله عنا خير الجزاء

سكرتير التحرير

• التوزيع الداخلي :
مؤسسة الأهرام وفروع أنصار السنة .

ثمن النسخة : السعودية ٦ ريالات ، الإمارات ٦ دراهم ، الكويت ٥٠٠ فلس ، المغرب دولار أمريكي ، الأردن ٥٠٠ فلس ، السودان ١,٥٠ جنيه مصري ، العراق ٧٥٠ فلس ، قطر ٦ ريالات ، مصر ٧٥ قرشًا ، عمان نصف ريال عماني .

من أخطاء الحج

بقلم الرئيس العام / محمد صفوت نور الدين

الحج فريضة عظمى ، وركن من أركان الإسلام ، ومؤتمر جامع للمسلمين من كافة أرجاء الأرض ، والحج فيه منافع أخروية ومنافع دنيوية ، ففيه مغفرة الذنب ؛ لحديث أبي هريرة أن النبي ﷺ قال : « العمرة إلى العمرة كفارة لما بينهما ، والحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة » . ولحديث أبي هريرة أيضًا : « من حج هذا البيت فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه » . وحديث عطاء بن يسار أيضًا : « من حج البيت فقضى نسكه وسلم المسلمون من لسانه ويده ، غُفر له ما تقدم من ذنبه » .

ومنافع أخروية دنيوية لحديث ابن عباس ، رضي اللَّه عنه ، قال : قال رسول اللَّه ﷺ : « تابعوا بين الحج والعمرة ، فإنهما ينفيان الفقر والذنوب كما ينفي الكير خبث الحديد » . أما المنافع الدنيوية ففي قوله تعالى : ﴿ لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ ﴾ [الحج : ٢٨] .

والحج موسم يجمع الحجيج من كافة بقاع الأرض ، فتظهر فيه من آيات اللَّه سبحانه ما جاء في قوله تعالى : ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلاَفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّلْعَالِمِينَ ﴾ [الروم : ٢٢] .

□ صار الناس يقلدون في أمر الحج من ليس له بذلك علم ، فترى هيئة الإحرام كأن كشف الكتف الأيمن من المناسك ، مع أنه سنة فقط في أشواط القدوم السبع .

□ تقبيل أحجار الكعبة ليس من الشرع ، إنما التقبيل للحجر الأسود فقط .

والحج عبادة عظمى تتساوى فيها الهيئات وتتوحد الأعمال وترتفع الأصوات بنداء واحد يشترك فيه الجميع : الغني والفقير ، والملك والمملوك ، والرئيس والمرءوس ، لباسهم الإحرام ، ونداؤهم الرحمن : « لبيك اللهم لبيك ، لبيك لا شريك لك لبيك ، إن الحمد والنعمة لك والملك ، لا شريك لك » . نداء واحد على اختلاف الألسنة والألوان .

تجتمع الأبدان ويتوافق نطق اللسان ويتوحد مراد الجنان ، يتعرف المسلمون على حاجات إخوانهم ، في عرفة موسم عظيم ، وفي منى ومزدلفة مقام لا شغل لهم فيه إلا ذكر اللّه ، حتى رمي الجمار ، فضلاً عن الطواف والسعي ، ليس له من شغل إلا الذكر والشكر والعبادة والطاعة .

مع كل هذه الفوائد العظمى والعوائد الكبرى يظهر الأثر السيئ للجهل الشديد في التزاحم الذي يؤذي الكثيرين ، بل وقد يودي بحياة بعض الضعفة والمساكين ، عند رمي الجمار ، أو التزاحم لتقبيل الحجر الأسود ، فعل بعض ما لم يكلفوا بفعله كصعود الصخرات التي تسمى بجبل الرحمة ، وهذا يحدث بسبب خطأ عظيم هو الجهل بأحكام الدين القويم .

فمع أن الحج من أيسر العبادات تعلمًا ، وأكثرها سماحة ولطفًا ، إلا أن الناس أحالوه من جهاد لا شوكة ولا دم فيه ، فجعلوا الشوكة فيه بازة ، والدم نازفًا .

ويرجع ذلك إلى أن الحاج لا يقوم بأوجب الواجبات عليه قبل الخروج إلى الحج ، وهو أن يتعلم مناسك الحج من واجبات ومندوبات ومحظورات وآداب وهيئات ورخص وسائر أعمال الحج ، وهذا الخطأ هو بالنسبة للأخطاء أمٌّ لبقية الأخطاء ، ويزيد من ذلك الخطأ أن الناس لم يفهموا أن عبادة الحج في هيئتها أعمال عادات أحالتها نية التقرب إلى اللّه تعالى ، والاقتداء بالنبي ﷺ إلى

عبادات ، فالسفر والترحال واللباس إحرامًا وتحللاً والسير طوافًا وسعيًا ، والمكث بمنى وعرفة ومزدلفة والمبيت وقضاء الليل والنهار ، ورمي الجمار ، كل هذه في هيئتها أعمال عادات صارت بنية التقرب إلى الله ، وقصد الاقتداء بالنبي ﷺ صارت عبادة مشروعة ، بل مفروضة واجبة لازمة على كل قادر مستطيع للزاد والراحلة ، مع أمن الطريق وبلوغ سن التكليف .

زاد من ذلك الخطأ أن صار الناس يقلدون في أمر الحج من ليس له بذلك علم ، فترى هيئة الإحرام كأن كشف الكتف الأيمن من مناسكها ، مع أنه سنة فقط في أشواط القدوم السبع فحسب ، لكنك ترى الحجاج جميعًا على ذلك ، ويعين على هذا أن الملصقات الإرشادية ترسم صورة الحاج في إحرامه وقد كشف كتفه الأيمن ، فيثبت ذلك الخطأ ، ومن أسباب الأخطاء : تسمية من يقوم بمساعدة الحجاج في تدبير الإقامة والسفر (مطوفًا) ، فيظن الناس أن وظيفته تعليم الناس الطواف ومناسك الحج ، فترى الحاج القادم يسأل عمالاً عند أولئك المطوفين وهؤلاء لا يتورعون عن الفتيا بما لا يعلمون .

> ☐ فليعلم الحاج أن التزاحم على الحجر ليس من السنة ، ومزاحمة النساء للرجال عند الحجر ليس من الفضل ، ولا يعفيها من الذنب الذي تقع فيه والذي أوقعت فيه الرجال .

ومما يعين على ذلك طلب التكسب بالبدع ، فترى أصحاب السيارات ينادون على الحجيج بالمزارات بالمدينة أو بالعمرة من التنعيم ، أو الجعرانة بمكة ، فيظن الناس أن هؤلاء ما داموا موجودين إلى جوار الحرم ، فهذا دليل صحة لهذه الأعمال ، وكأنها فتوى بمشروعيتها ، بل ويظنون هؤلاء محلاً للفتيا فيسألونهم والآخرون يجيبون ولا يردون العلم لأهله .

هذا ، مع أن مراكز الدعوة والإرشاد قريبة يمكنهم أن يسألوهم ، بل وسيارات التوعية تجوب الشوارع ودعاتها يرشدون الناس في المساجد ، لكن الناس لم يتعلموا أن يتحروا في أمر دينهم كما يتحروا في أمر دنياهم .

> □ يحرم التساهل في الفتوى ويحرم استفتاء من عُرف بالتساهل بالفتوى، ويحرم الفتوى بالتسارع بغير نظر ولا تفكر.

وأن العامي إذا عرضت له مسألة دينية فلا يسعه في الدين إلا السؤال عنها ؛ لأن اللّه لم يتعبد الخلق بالجهل ، إنما تعبدهم بتصحيح القصد والاقتداء بالنبي ﷺ .

لذا فإن السائل لا يصح له أن يسأل من لا يعتبر في الشريعة جوابه ؛ لأنه إسناد الأمر لغير أهله ، فكأن السائل يقول لمن ليس بأهل للمسألة إذا سأله : أخبرني عما لا تدري ، وأنا أسترشد بك فيما نحن في الجهل به سواء ، مع أنه لو سأل عن طريق أو مكان يريده ويسأل من يعلم أنه جاهل بالطريق لعده الناس من المجانين والطريق الشرعي أولى بالرعاية والعناية ؛ لأنه هلاك في الآخرة ، بينما هذا هلاك في الدنيا .

والمفتي قائم في الأمة مقام النبي ﷺ ؛ لحديث النبي ﷺ : « إن العلماء ورثة الأنبياء ، وإن الأنبياء لم يُورثوا دينارًا ولا درهمًا ، وإنما ورثوا العلم » .

ويحرم التساهل في الفتوى ويحرم استفتاء من عُرف بالتساهل بالفتوى ، ويحرم الفتوى بالتسارع بغير نظر ولا تفكر ، لظنه أن الإسراع بالفتوى براعة وترك الإسراع عجز ونقص ، ويبقى أن يعلم الحاج أن التزاحم على الحجر ليس من السنة ، وأن صعوده على رصيف الكعبة (الشازروان) ، ليصل إلى الحجر يجعل الطواف غير صحيح مثله كمثل الذي يدخل من باب الحجر ويخرج من الآخر ؛ لأن هذا الرصيف الذي حول الكعبة من الكعبة ومزاحمة النساء للرجال عند الحجر ليس من الفضل ولا يعفيها من الذنب الذي تقع فيه والذي أوقعت فيه الرجال .

وكذلك ليس من أعمال يوم عرفة صعود الجبل (الصخرات المسماة جبل الرحمة) ، فلا النبي ﷺ صعدها ، ولا أحد من أصحابه ، وعمرة التنعيم إنما أذن النبي ﷺ فيها لعائشة ، رضي اللّه عنها ؛ لأنها لم تكن قد طافت قبل الحج لحيضها ، وإنما فعل ذلك ليهدم قول أهل الجاهلية بحرمة العمرة لمن اعتمر حتى ينخلع ذو الحجة والمحرم ويأتي شهر صفر .

وتقبيل أحجار الكعبة ليس من الشرع ، إنما التقبيل للحجر الأسود فقط .

نسأل اللّه أن يرزقنا حجًّا مبرورًا ، وذنبًا مغفورا . واللّه من وراء القصد .

كلمة التحرير

بقلم

رئيس التحرير

صفوت الشوادفي

الحج..

الحمد لله .. والصلاة والسلام على رسول الله ... وبعد :

فقد أوجب الله علينا الحج كما فرضه على الذين من قبلنا .

وكان فرضه على أمتنا في السنة التاسعة من الهجرة بقوله تعالى : ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً ﴾ [آل عمران : ٩٧] .

وقد ثبت في السنة أيضًا وجوبه بقوله ﷺ فيما رواه مسلم : ((أيها الناس ، إن الله قد فرض عليكم الحج فحجوا ...)) .

❋ وقد ثبت في فضله أحاديث كثيرة ؛ منها قوله ﷺ في الحديث المتفق عليه : ((من حج فلم يرفث ولم يفسق ، رجع كيوم ولدته أمه)) . وهذه بشرى عظيمة لمن حج ، وحافظ على حجه باجتناب الرفث والفسوق أن يرجع مغفورًا له ، وأن تعود صحيفته بيضاء كما كانت يوم ولادته !!

ومنها قوله ﷺ : ((والحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة)). متفق عليه.

❋ والحج له أركان وواجبات وسنن .

❋ فأما أركانه فأربعة :

١ - الإحرام .

٢ - الوقوف بعرفة .

٣ - طواف الإفاضة (الزيارة) .

٤ - السعي بين الصفا والمروة .

❋ وأما واجباته فسبعة :

١ - الإحرام من الميقات .

٢ - الوقوف بعرفة إلى غروب الشمس .

٣ - المبيت بمزدلفة ليلة العيد ، عدا أصحاب الأعذار ، فإلى نصف الليل .

٤ - المبيت بمنى ليالي أيام التشريق ، عدا أصحاب الأعذار ، فإلى نصف الليل.

٥ - رمي الجمار مرتبة في أيام التشريق .

٦ - الحلق أو التقصير .

٧ - طواف الوداع .

❋ وسننه كثيرة ، أهمها :

١ - الاغتسال والتطيب عند الإحرام .

٢ - الإحرام في الأبيض في حق الرجال ، وأما المرأة فيحرم عليها الإحرام في الملابس البيضاء ، حتى لا تتشبه بالرجال .

٣ - التلبية مع رفع الصوت للرجال .

٤ - المبيت بمنى ليلة عرفة .

تنبيهات وتعريفات

٥- الجمع بين الظهر والعصر ، مع قصر الرباعية تقديمًا بعرفة ، وتأخيرًا بمزدلفة عند وصوله إليها ليلة العيد .
٦- طواف القدوم في حق القارن والمفرد .
٧- الاضطباع والرمل .
٨- تقبيل الحجر الأسود .
٩- استلام الحجر والركن اليماني .
١٠- الإسراع والمشي بحسب ما ذكر العلماء في مناسك الحج .
١١- ركعتا الطواف .
١٢- الأذكار والأدعية المشروعة في الحج .
١٣- خطبة الإمام أو نائبه في يوم عرفة ، اقتداءً بالنبي ﷺ .
١٤- النزول بمسجد نمرة قبل الزوال يوم عرفة .
١٥- الشرب من زمزم .

❋ الفرق بين الركن والواجب والسنة :

إذا سقط ركن من أركان الحج ، فالحج غير صحيح ، ولا يجبر بدم ، وأما من ترك واجبًا من واجبات الحج ؛ فالحج صحيح ، وعليه دم ، ومن ترك سنة من سنن الحج فلا شيء عليه ، وقد نقص أجره .

تعريفات تتعلق بالحج

١- المَحْرَم للمرأة : زوجها ؛ وكل ذكر بالغ تحرم عليه تحريمًا مؤبدًا ، بقرابة ، أو رضاع ، أو مصاهرة .
٢- الحج : القصد إلى البيت الحرام بأعمال مخصوصة .
٣- الحج المبرور : الذي لا يرتكب صاحبه فيه معصية .
٤- العمرة : زيارة البيت الحرام على وجه مخصوص .
٥- الإحرام : نيّة الدخول في النسك ؛ وسمّي بذلك ؛ لأن المحرم بإحرامه قد حرّم على نفسه أشياء كانت مباحة له .
٦- النسك : معناه في لغة العرب : التعبد ؛ وأصله مأخوذ من النسيكة وهي : الذبيحة المتقرب بها إلى الله .
٧- الميقات : موضع العبادة وزمنها؛ وينقسم إلى ميقات زماني، وميقات مكاني.
٨- التلبية : الإجابة ؛ وتكرارها يعني : إجابة لك يا رب بعد إجابة ، ولزومًا لطاعتك فهذه التلبية إجابة لقول الله : ﴿ وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ ﴾ [الحج : ٢٧] .
٩- التمتع : الإحرام بالعمرة وحدها في أشهر الحج ، ثم يفرغ منها ، ويحل إحرامه ، ثم يحرم بالحج في وقته من نفس العام .

عرفات جبل قريب من مكة على بعد اثني عشر ميلاً منها، وهو موضع وقوف الحجيج، ولا يصح الحج إلاَّ به وسمي عرفة، وعرفات.

١٠- القِران - بكسر القاف -: الإحرام من الميقات بالعمرة والحج معًا ، ويسعى لهما سعيًا واحدًا ، ويبقى محرمًا إلى يوم العيد ، وعليه هدي كالمتمتع .

١١- الإفراد : الإحرام بالحج مفردًا ، ولا يحل إحرامه إلا يوم العيد ، وليس عليه هدي .

١٢- أشهر الحج : شوال ، وذو القعدة ، والعشر من ذي الحجة .

١٣- حاضرو المسجد الحرام : سكان مكة أو الحرم .

١٤- الآفاقي : هو الذي ليس من حاضري المسجد الحرام ، أي يسكن بعيدًا عن الحرم ؛ وسمي بذلك ؛ لأنه جاء من الآفاق .

١٥- الحرم : مكة ، ومنى ، ومزدلفة .

١٦- الاضطباع : إبراز (كشف) الكتف الأيمن فقط ، ويجعل وسط ردائه تحت إبطه ، وطرفيه على كتفه الأيسر ؛ والاضطباع سنة في طواف القدوم فقط ، ولا تجوز الصلاة به .

١٧- الرَّمَل - بفتح الميم -: إسراع المشي مع مقاربة الخطا ؛ ويكون في الأشواط الثلاثة الأولى فقط من طواف القدوم .

١٨- الرفث : الجماع ومقدماته من فعل أو كلام .

١٩- الفسوق : كل خروج عن طاعة الله تعالى بارتكاب صغائر أو كبائر .

٢٠- الجدال : المخاصمة والمراء .

٢١- مقام إبراهيم : هو المكان الذي كان يقوم فيه إبراهيم ﷺ بالمسجد الحرام للصلاة ؛ أو لبناء البيت ؛ وكان ملصقًا بجدار الكعبة ؛ ثم نقله عمر بن الخطاب ، رضي الله عنه .

٢٢- الهَدْي - بفتح الهاء ، وسكون الدال -: ما يُهدى إلى البيت الحرام : الإبل ، أو البقر ، أو الغنم ، ليذبح في مكة تقربًا إلى الله تعالى .

٢٣- بهيمة الأنعام : الإبل ، والبقر ، والغنم .

٢٤- البُدْن - بضم الباء ، وسكون الدال -: جمع بدنة ؛ وهي ما يساق إلى الحرم من إبل وبقر ليذبح تقربًا إلى الله تعالى .

٢٥- النحر : النحر في أسفل الرقبة مما يلي الصدر .

٢٦- الذبح : في أعلى الرقبة مما يلي الرأس ، ولا بد فيهما من قطع الودجين .

٢٧- الودجان : هما العرقان الغليظان المحيطان بالحلقوم .

٢٨- القانع : السائل .

٢٩- المعترّ : الذي يتعرض للرجل ؛ ولا يسأله حياءً وعفة .

٣٠- الإحصار : المنع من دخول مكة بعد الإحرام لمرض أو عدو أو غيره .

٣١- الأيام المعدودات : هي أيام منى ، وهي أيام رمي الجمار ، وهي أيام التشريق .

٣٢- الإهلال : رفع الصوت ؛ وذلك لأنهم كانوا يرفعون أصواتهم بالتلبية عند الإحرام .

مزدلفة بين منى وعرفة، وسميت بذلك لأن الحجاج إذا أفاضوا من عرفات ازدلفوا إليها، وتسمى أيضًا جمعًا، لاجتماع الناس بها، أو لجمع المغرب والعشاء.

٣٣- تلبيد شعر الرأس : أي يجعل فيه شيئًا نحو الصمغ أو العسل ليجتمع شعره كي لا يتشعث (يتفرق) في الإحرام أو يقع فيه القمل .

٣٤- الإذخر : نبت طيب الرائحة معروف عند العرب ، وينبت عادة في الأرض الجبلية .

٣٥- يوم التروية : هو الثامن من ذي الحجة ؛ سُمي بذلك ؛ لأن الناس كانوا يتروون فيه الماء - أي يتزودون بالماء - لما بعده ، حيث لم يكن الماء موجودًا وقتها في منى وعرفات . وقيل : لأن إبراهيم عليه السلام لما أمر بذبح ابنه إسماعيل عليه السلام أصبح يتروى في أمر الرؤيا ؛ أي يتثبت .. والله أعلم .

٣٦- مزدلفة : بين منى وعرفة ؛ وسميت بذلك ؛ لأن الحجاج إذا أفاضوا من عرفات ازدلفوا إليها : أي تقربوا ومضوا إليها ، أو لأنهم يزدلفون إلى الله فيها ؛ أي يتقربون إليه ، وتسمى أيضًا : جمعًا ؛ لاجتماع الناس بها ، أو لجمع المغرب والعشاء .

٣٧- المشعر الحرام : سمي بذلك من الشعار ؛ وهو العلامة ؛ لأنه مَعْلم للحج والصلاة والمبيت به والدعاء عنده من شعائر الحج . ووصف بالحرام لحرمته .

٣٨- وادي مُحسِّر - بضم الميم ، وتشديد السين -: هو واد بين مزدلفة ومنى ؛ وسمي بذلك ؛ لأنه يحسر سالكه .

٣٩- الخيف : ما ارتفع من الوادي قليلاً عن مسيل الماء ؛ وبه سمي مسجد الخيف بمنى ؛ لأنه بني في خيف الجبل .

٤٠- أيام التشريق : ثلاثة ؛ وهي الحادي عشر ، والثاني عشر ، والثالث عشر من ذي الحجة ؛ وسميت بذلك ؛ لأن لحوم الأضاحي تشرق - بضم التاء وتشديد الراء - فيها ؛ أي تقدد في الشرقة ؛ وهي الشمس .

٤١- عرفات : جبل قريب من مكة على بعد اثني عشر ميلاً منها ، وهو موضع وقوف الحجيج ، ولا يصح الحج إلا به ، وسمي في السنة الصحيحة : عرفة ، وفي القرآن : عرفات ، وهو اسم علم .

وكل ما ورد لتعليل هذا الاسم ليس عليه دليل صحيح ؛ كقولهم : إنما سمي بذلك ؛ لاجتماع آدم وحواء فيه ، فإن ذلك لم يثبت ، وقول بعضهم : إنما سمي بذلك ؛ لأن الناس يتعارفون عنده ، لا دليل عليه ، إلى غير ذلك من الأقوال ...

نسأل الله أن يرزقنا حج بيته الحرام . وأن يمتعنا بزيارة المسجد الحرام . وأن يحرم أجسادنا على النار . وأن يلبي دعوتنا بصدق نبينا ﷺ . وأن يجعلنا ممن يطوف عليهم في الجنة ولدان مخلدون . وأن يجعل سعينا مشكورًا ، وذنبنا مغفورًا . وأن يتجاوز عنا مع من وقف بعرفة يوم الوقوف بين يديه والعرض عليه . وأن يحل رضوانه علينا كلما حلَّ المحرمون ، ورجع الحجاج والمعتمرون . آمين . آمين .

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وآله وصحبه .

رئيس التحرير

يوم التروية هو الثامن من ذي الحجة ، سمي بذلك لأن الناس كانوا يتروون فيه الماء لما بعده، حيث لم يكن الماء موجودًا وقتها في منى وعرفات .

لماذا يُحج البيت؟!

بقلم الدكتور :
عبد العظيم بدوي

قال تعالى : ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ ۝ فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَن دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴾ [آل عمران : ٩٧] .

هاتان آيتان من سورة ((آل عمران)) ، فرض الله بنهايتهما حج البيت على من استطاع إليه سبيلاً ، وخصَّ بدايتهما بذكر فضائل هذا البيت التي بها استحق أن يُقصد - دون غيره - للحج ، فلنبدأ بما بدأ الله به ، فنقول : إن الله تعالى فضّل بعض مخلوقاته على بعض ، ورفع بعضهم فوق بعض درجات ، وعمّ هذا التفضيلُ الإنسان والحيوان والجمادات ، ومن هذا تفضيله سبحانه وتعالى للبلد الحرام - مكة - على سائر البلاد ، وتفضيله للمسجد الحرام على سائر المساجد ، ومن فضائل البلد الحرام أن الله تعالى أقسم به في موضعين من كتابه ، فقال سبحانه : ﴿ لاَ أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ ۝ وَأَنتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ ﴾ [البلد : ١ ، ٢] ، وقال : ﴿ وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ ۝ وَطُورِ سِينِينَ ۝ وَهَذَا الْبَلَدِ الأَمِينِ ﴾ [التين : ١ - ٣] ، وما أقسم به إلا لشرفه وفضله ، وكونه أحبَّ البلاد إليه ، كما في الحديث عن عبد الله بن عديّ بن الحمراء ، رضي الله عنه ، قال : رأيت رسول الله ﷺ وهو على ناقته واقفٌ بالحزورة - موضع بمكة - يقول : ((والله إنك لخيرُ أرض الله ، وأحبُّ أرض الله إلى الله ، والله لولا أني أُخرجت منك ما خرجت)) . [((صحيح ابن ماجه)) : (٢٥٢٣)] .

ومن فضائله ما رواه الشيخان عن ابن عباس ، رضي الله عنهما ، أن رسول الله ﷺ قال يوم فتح مكة : ((إن هذا البلد حرّمه الله يوم خلق السماوات والأرض ، فهو حرام بحرمة الله إلى يوم القيامة ، وإنه لم يحلّ القتال فيه لأحد قبلي ، ولم يحلّ لي إلا ساعة من نهار ، فهو حرام بحرمة الله إلى يوم القيامة ، لا يُعضد شوكه ، ولا يُنفر صيده ، ولا يلتقط لقطته ، إلا من عرّفها ، ولا يُختلى خلاه)) . فقال العباس : يا رسول الله ، إلا الإذخر ، فإنه لقينهم وبيوتهم ، فقال : ((إلا الإذخر)) .

ومن فضائل المسجد الحرام : كونه أول بيت وضع للناس لذكر الله والصلاة والطواف والاعتكاف ، كما في الآية الكريمة ، وكما في ((الصحيحين)) عن أبي ذر ، رضي الله عنه ، قال : سألت

رسول اللّه ﷺ عن أول مسجد وُضع في الأرض ؟ فقال : « المسجد الحرام » . قلت : ثم أيّ ؟ قال : « المسجد الأقصى » . قلت : كم بينهما ؟ قال : « أربعون عامًا » .

ومنها كونه مباركًا .

قال الفخر الرازي ، رحمه اللّه : البركة لها معنيان : أحدهما : النمو والتزايد ، والثاني : البقاء والدوام . يُقال : تبارك اللّه ؛ لثبوته لم يزل ، والبركة شبه الحوض لثبوت الماء فيها ، وبرك البعير : إذا وضع صدره على الأرض وثبت واستقر .

فإن فسّرنا البركة بالتزايد والنمو فهذا البيت مبارك من وجوه:

أحدها : أن الطاعات يزداد ثوابها فيه ، قال ﷺ : « صلاة في مسجدي هذا أفضل من ألف صلاة فيما سواه من المساجد ، إلا المسجد الحرام » . [متفق عليه] .

وقال ﷺ : « من حج فلم يرفث ولم يفسق رجع من ذنوبه كيوم ولدته أمه » . [متفق عليه] .

ومعلوم أنه لا أكثر من بركة ما يجلب المغفرة والرحمة .

وثانيها : قال القفال ، رحمه اللّه تعالى : ويجوز أن يكون بركته ما ذكر في قوله تعالى : ﴿ يُجْبَى إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ ﴾ [القصص : ٥٧] ، فيكون كقوله : ﴿ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ ﴾ [الإسراء : ١] .

وثالثها : أن العاقل يجب أن يستحضر في ذهنه أن الكعبة كالنقطة ، وليتصور أن صفوف المتوجهين إليها في الصلوات كالدوائر المحيطة بالمركز ، وليتأمل كم عدد الصفوف المحيطة بهذه الدائرة حال اشتغالهم بالصلاة ، ولا شك أنه يحصل فيما بين هؤلاء المصلين أشخاص أرواحهم علوية ، وقلوبهم قدسية ، وأسرارهم نورانية ، وضمائرهم ربانية ، ثم إن تلك الأرواح الصافية إذا توجهت إلى ربها وتوجهت أجسادهم إلى تلك الكعبة الحسية ، ازدادت في قلوبهم الأنوار الإلهية : ﴿ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ ﴾ [النور : ٣٥] .

وأما إن فسّرنا البركة بالدوام فهو أيضًا كذلك ؛ لأنه لا تنفك الكعبة من الطائفين

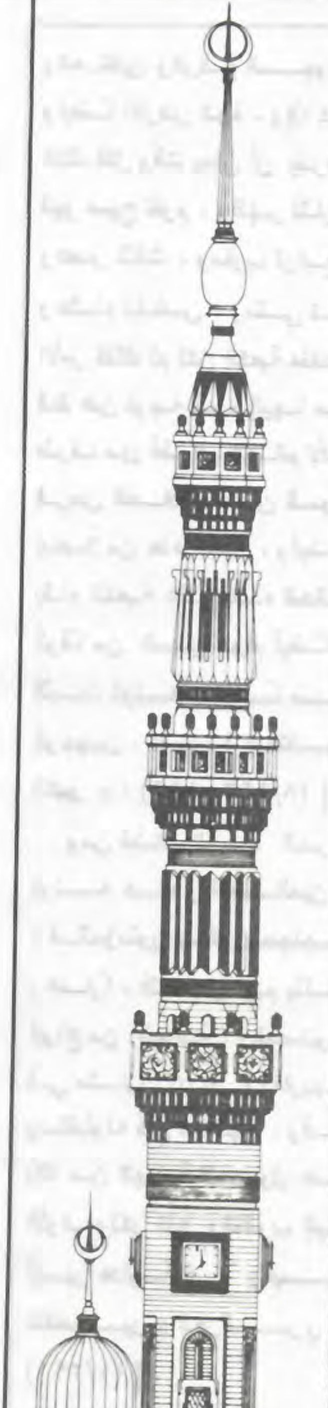

والعاكفين والركع السجود ، وأيضًا الأرض كرة ، وإذا كان كذلك فكل وقت يمكن أن يفرض فهو صبح لقوم ، وظهر لثان ، وعصر لثالث ، ومغرب لرابع ، وعشاء لخامس ، ومتى كان الأمر كذلك لم تكن الكعبة منفكة قط عن توجه قوم إليها من طرف من أطراف العالم لأداء فرض الصلاة ، فكان الدوام حاصلاً من هذه الجهة ، وأيضًا بقاء الكعبة على هذه الحالة ألوفًا من السنين دوام أيضًا ، فثبت كونه مباركًا من الوجهين . اهـ . [« التفسير الكبير » : (٨/١٦٢، ١٦٣)] .

ومن فضائل المسجد الحرام كونه هدى للعالمين : (فالمؤمنون يأتون حجاجًا وعمارًا ، فتحصل لهم بذلك أنواع من الهداية ، والمصلون في مشارق الأرض ومغاربها يستقبلونه في صلاتهم ، وفي ذلك من الهداية للحصول على الثواب وذكر اللَّه والتقرب إليه أكبر هداية) . [« أيسر التفاسير » الجزائري : (١/٢٩١)] .

ومن فضائل المسجد الحرام أن : ﴿ فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ ﴾ تدل

من فضائل المسجد الحرام كونه هدى للعالمين ، فالمؤمنون يأتون حجاجًا وعمارًا ، فتحصل لهم بذلك أنواع من الهداية .

على قدرة اللَّه وعظمته وتوحيده ، منها : ﴿ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ ﴾ ، وهو الحجر الذي قام عليه وهو يبني الكعبة ، وهو حجر صلب ، ومع ذلك أثر فيه قدما الخليل وغاصتا ، وما زال هذا الأثر إلى اليوم يُرى بالحجر ، ومن الآيات الحجر الأسود ، والحطيم ، وزمزم . [« معالم التنزيل » البغوي : (١/٥١١)] .

ومن فضائل المسجد الحرام أن : ﴿ .. مَن دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا ﴾ ، فمن آذى آدميًا أو ظلمه ، ثم عاذ بالبيت أعاذه البيت ، فلا يؤخذ بجريرته حتى يخرج منه ، وكذلك كان الأمر في حال الجاهلية ، كما ذكر ابن كثير . [١/٣٨٤] .

فلما كان المسجد الحرام بهذه المكانة فرض اللَّه على الناس قصده للعبادة ، وجعل ذلك من آكد فروض الإسلام ، فقال : ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً ﴾ .

قال القاسمي ، رحمه اللَّه ، في فتح البيان : اللام في قوله : ﴿ للَّه ﴾ هي التي يقال لها : لام الإيجاب والإلزام ، ثم زاد هذا المعنى تأكيدًا حرف ﴿ على ﴾ فإنه من أوضح الدلالات على الوجوب عند العرب ، كما إذا قال القائل : لفلان عليَّ كذا . فذكره اللَّه سبحانه بأبلغ ما يدل على الوجوب تأكيدًا لحقه ، وتعظيمًا لحرمته . [« محاسن التأويل » : (١٦٠، ٤/١٦١)] .

وقد أجمع المسلمون على وجوبه لهذه الآية ، ولقول النبي ﷺ : « بني الإسلام على خمس : شهادة أن لا إله إلا اللَّه ، وأن محمدًا رسول اللَّه ، وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وحج البيت ، وصيام رمضان » . [مسلم : (١٢٤١)] .

وهو واجب مع العمرة على كل مسلم ، بالغ ، عاقل ، حر ، مستطيع ، والاستطاعة تتحقق بالصحة وملك ما يكفيه لذهابه وإيابه ، فاضلاً عن حاجته وحاجة من تلزمه نفقته ، ويشترط توفر أمن الطريق ، ويشترط في حق المرأة أن يصحبها زوج أو محرم ، فإن لم تجد زوجًا أو محرمًا فليست مستطيعة .

عن ابن عباس قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « لا يخلون رجل بامرأة إلا ومعها ذو محرم ، ولا تسافر المرأة إلا مع ذي محرم » . فقال رجل : يا رسول الله ، إن امرأتي خرجت حاجة ، وإني اكتتبت في غزوة كذا وكذا ، فقال : « انطلق فحج مع امرأتك » . [متفق عليه] .

ويجب على من استطاع أن يبادر إلى الحج من عامه ؛ لقوله ﷺ : « من أراد الحج فليتعجل ، فإنه قد يمرض المريض ، وتضل الدابة ، وتعرض الحاجة » . [« صحيح ابن ماجه » : (٢٣٣١)] .

ولا يجب الحج على المستطيع إلا مرة واحدة في العمر ، للحديث المشهور ، أن رسول الله ﷺ قال : « يا أيها الناس ، إن الله قد فرض عليكم الحج فحجوا » . فقال رجل : أكل عام يا رسول الله ؟ فسكت ، حتى قالها ثلاثًا ، ثم قال ﷺ : « لو قلت : نعم لوجبت ، ولما استطعتم » . [مسلم : (١٣٣٧)] .

لكنه يستحب الإكثار من العمرة والحج ، لقول النبي ﷺ : « تابعوا بين الحج والعمرة ، فإنهما ينفيان الذنوب والفقر كما ينفي الكير خبث الحديد والذهب والفضة ، وليس لحجة مبرورة ثواب إلا الجنة » . [« صحيح ابن ماجه » : (١٩٠١)] .

ويستحب أن لا يزيد غياب المسلم المستطيع عن الحج أكثر من خمس سنين .

عن أبي سعيد الخدري ، رضي الله عنه ، عن النبي ﷺ قال : « إن الله يقول : إن عبدًا أصححت له جسمه ، ووسّعت عليه في المعيشة ، تمضي عليه خمسة أعوام لا يفد إليّ لمحروم » . [« السلسلة الصحيحة » : (١٦٦٢)] .

والإكثار من العمرة والحج أفضل من التصدق بقيمتهما ؛ لأنهما ينفيان الفقر ، فيزداد غنى ويكثر ماله ، فيعود خيره عليه وعلى الفقراء ، وبذلك أفتى شيخ الإسلام ابن تيمية ، رحمه الله ، ففي « مجموع الفتاوى » (٢٦/١٠) فتوى نصها :

وسُئل ، رحمه الله :

ماذا يقول أهل العلم في رجل

آتاه ذو العرش مالاً حجّ واعتمر

فهزّه الشوق نحو المصطفى طربا

أترون الحج أفضل أم إيثاره الفقرا ؟

فأجاب ، رضي الله عنه :

نقول فيه بأن الحج أفضل من

فعل التصدق والإعطاء للفقرا . اهـ .

ولا يجوز ترك الحج مع القدرة عليه ؛ لقوله تعالى : ﴿ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴾ .

نسأل الله سبحانه أن يجعل موسم الحج موسم سلم وسلام وأمن وأمان ، وأن يرد الجميع إلى أوطانهم وأهليهم سالمين غانمين .

والحمد لله رب العالمين .

الحج

كتبه فضيلة الشيخ / محمد علي عبد الرحيم (رحمه الله)
الرئيس العام السابق للجماعة

فُرض الحج على أصح الأقوال في السنة التاسعة من الهجرة ، ولم تكن الجزيرة العربية قد طهرت تمامًا من الشرك بالله ، ولذلك بعث رسول الله ﷺ أبا بكر ليحج بالناس ، فخرج في نحو ألف وخمسمائة من الصحابة ، وبينما هو في الطريق نزلت سورة ((براءة)) ، وفيها : ﴿ إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَٰذَا ﴾ [التوبة : ٢٨] ، فبعث بها علي بن أبي طالب يقرؤها على الناس ، وأمره أن يبلغهم : ((أنه لا يحج بعد هذا العام مشرك ، ولا يطوف بالبيت عريان)) .

وقد امتنع رسول الله ﷺ من الحج هذا العام ، لما يرى من أهل الجاهلية تعظيمًا لآلهتهم ، وأنهم يطوفون عراة ، ولا يمكن أن يرى ذلك ويسكت ، أو أن يسمع من يهتف بآلهتهم ويسكت على ذلك أيضًا ، ولا بد أن يغضب الله ، ويخشى أن تقوم ثورة بين المسلمين والمشركين حول بيت الله تعالى فتراق الدماء ، وهذا ما يخشاه رسول الله الكريم ﷺ .

فلما كان من العام القابل (العاشر من الهجرة) ، ودخل شهر ذي القعدة أذن في الناس بالحج ، وبعث من يبلغ القبائل ليخرجوا للحج مع رسول الله ﷺ ، أو يلتقوا به في مشاعر الله بمكة ؛ لأنه يحب أن يلقاهم ليبلغهم جميعًا رسالة ربه .

وفي اليوم الخامس والعشرين (وكان يوم سبت) ، صلى الظهر بمسجده بالمدينة ، وخطب الناس فيما يعمل الناس حين إحرامهم ، ثم خرج إلى ذي الحليفة - ميقات أهل المدينة - وتسمى الآن : ((آبار علي)) ، وهي على مسيرة نحو عشرة كيلو مترات من المدينة ، فنزل بها وصلى العصر ركعتين ، والمغرب ثلاثًا ، والعشاء ركعتين ، وبات بها ، وكان معه نساؤه التسع ، رضي الله عنهن ، فطاف عليهن كلهن في هذه الليلة ، ثم اغتسل غسلاً واحدًا ، ثم صلى الصبح ، ثم طيبته عائشة بطيب فيه مسك ، استمر ثلاثة أيام ، وذلك قبل إحرامه .

وفي أثناء ذلك ولدت زوجة أبي بكر ، رضي الله عنه ، (أسماء بنت عميس) محمد بن أبي بكر ، فأمر الرسول ﷺ أن يأمرها أبو بكر بأن تغتسل وتترجل - تمشط شعرها - ثم تهل بالحج ، وتصنع ما يصنع الحاج ، إلا أنها لا تطوف بالبيت حتى تطهر .

● **الإحرام :**

وعند حلول وقت الظهر ، صلى الظهر ركعتين ، وأهل ، فقال : ((لبيك اللهم حجًا وعمرة ، لبيك اللهم لبيك ، لبيك لا شريك لك لبيك ، إن الحمد والنعمة لك والملك ، لا شريك لك)) . لم يتلفظ بقوله : نويت ، وليس من هديه أن يقول : نويت . لا في صلاة ، ولا حج ، ولا في غيره ، فالتلفظ بالنية بدعة .

وكل من سمع النبي ﷺ من الصحابة أهلّ كذلك ، ولما استقبل راحلته رفع صوته بالتلبية وأمر أصحابه أن يرفعوا أصواتهم بها ، كلما هبط واديًا ، أو علا شرفًا ، أو لقي ركبًا ، وفي أدبار الصلوات المكتوبات وأواخر الليل . وهكذا ظل يلبي حتى رمى جمرة العقبة يوم النحر .

وكان رسول الله ﷺ ينادي : ((أيها الناس ، خذوا عني مناسككم ، فلعلكم لا تلقوني بعد عامكم هذا)) .

وسار في طريقه حتى وصل إلى سرف - بفتح السين وكسر الراء - مكان بالطريق ، وحط رحاله ، ودخل على عائشة ، فوجدها تبكي ، فقال : ((ما يبكيك ؟ لعلك نفست)) ؛ أي جاءها الحيض ، فقالت : نعم . فقال : ((ذلك شيء كتبه الله على بنات آدم ، اغتسلي ، ثم أهلي بالحج ، وافعلي ما يفعل الحاج ، غير أن لا تطوفي بالبيت حتى تطهري)) .

وفي هذا المكان - سرف - جاءه جبريل عليه السلام وأبلغه أن الدخول إلى مكة بالعمرة في موسم الحج أحب إلى الله ، فأخبر النبي ﷺ أصحابه أن من لم يكن معه هدي يحسن أن يفسخ الحج إلى عمرة ، وكان ذلك بصورة غير جازمة ، واستمر النبي ﷺ في سيره ، حتى وصل إلى مشارف مكة في اليوم الرابع من ذي الحجة ، فبات واغتسل من بئر ذي طوى (وقد لجأ الناس حديثًا إلي التبرك به ، فأضاع معالمه أهل التوحيد تجنبًا للشرك بالله) . وفي صبيحة اليوم الخامس من ذي الحجة دخل مكة في الضحى ، ولما وقع بصره على البيت رفع يديه وكبر وقال : ((اللهم أنت السلام ، ومنك السلام ، فحينا ربنا بالسلام ، اللهم زد هذا البيت تشريفًا وتعظيمًا وتكريمًا ومهابة ، وزد من شرفه وكرمه ممن حجه أو اعتمره تشريفًا وتعظيمًا وتكريمًا وبرًا)) . ثم اتجه إلى البيت ، وجعل طرف ردائه الأيمن من تحت إبطه الأيمن ، وألقاه على كتفه الأيسر - وهذا يسمى الاضطباع - فلما حاذى الحجر الأسود استقبله واستلمه ، ولم يزاحم عليه ولم يقل : نويت الطواف .

● **محظورات الإحرام :**

يحرم على المحرم من الرجال والنساء قتل الصيد البري ، وعقد النكاح ، والجماع ، وخطبة النساء ، ومباشرتهن ، والطيب ، وقص الشعر ، وتقليم الأظفار ، ويحرم على الرجال لبس المخيط ، وتغطية الرأس ، إلا إذا كان ناسيًا ، فلا شيء عليه ، كما يحرم على الجميع قطع الشجر ، وتنفير الصيد ، وأخذ اللقطة إلا لمنشدها ، ويلاحظ أن عرفة من الحل وليست من الحرم .

● **طواف القدوم :**

جعل البيت عن يساره - ولم يكن له دعاء خاص - وطاف بالبيت سبعًا ولم يستلم إلا الركنين الأسود واليماني ، وكان يقول بينهما : ((ربنا آتنا في الدنيا حسنة ، وفي الآخرة حسنة ، وقنا عذاب النار)) .

ولم يقبل النبي ﷺ من الكعبة سوى الحجر الأسود - إن تيسر - وذلك اعتبارًا من بدء كل شوط ، فإن شق عليه استلامه من الزحام أشار إليه ، وقال : ((الله أكبر)) . ومن السنة أن يرمل في الأشواط الثلاثة الأولى من طواف القدوم فقط - والرمل تضييق الخطا ، مع الإسراع في المشي - وعند الزحام الشديد يسقط الرمل كما أنه لا يجوز في طواف الإفاضة ولا في طواف الوداع ؛ لأن طواف القدوم يكون مع الإحرام . وبعد الانتهاء من الطواف يضع رداءه على كتفيه وينتهي وقت الاضطباع ، ثم يصلي ركعتي الطواف في مقام إبراهيم عليه السلام إن تيسر ، وإلا صلاها في أي مكان بالمسجد الحرام .

ويجوز الطواف راكبًا ، فقد روى مسلم عن عائشة ، رضي الله عنها ، قالت : ((طاف رسول الله ﷺ في حجة الوداع حول الكعبة على بعيره بالبيت وبين الصفا والمروة ليراه الناس)) . ثم أتى الحجر الأسود بعد الصلاة ، فاستلمه وشرب من ماء زمزم .

● **السعي بين الصفا والمروة :**

ثم خرج إلى الصفا وقرأ قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِن شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا ﴾ [البقرة : ١٥٨] ، وقال : ((أبدأ بما بدأ الله به)) . ثم رقي عليها ، حتى إذا رأى البيت استقبله وقال : ((لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير ، لا إله إلا الله وحده ، صدق وعده ، ونصر عبده ، وأعز جنده ، وهزم الأحزاب وحده)) . ثم دعا . فعل ذلك ثلاث مرات على الصفا ، ثم نزل فمشي إلى المروة ، حتى إذا وصل إلى العلم الأخضر هرول ، حتى العلم الثاني في طريقه إلى المروة (والهرولة إسراع المشي) ، والمرأة لا تسرع دون الرجال ، ثم يمشي بعد العلم الأخضر الثاني إلى المروة ويصعد عليها أو يقف عندها ويفعل مثل ما فعل على الصفا ، ثم يعود إلى الصفا .. وهكذا حتى يكمل الأشواط السبعة - الذهاب شوط ، والرجوع شوط - ويستحب أن يكثر من ذكر الله في سعيه ، ولو انتقض وضوؤه أثناء السعي أتم سعيه بغير طهارة ، بخلاف الطواف حول الكعبة ، فلا بد من الطهارة .

وأثناء السعي يتذكر ما كان من السيدة هاجر ، رضي الله عنها ، التي لجأت إلى الله تعالى عند اشتداد الكرب ونفاد الماء ، وتعرض ولدها إسماعيل عليه السلام للهلاك ، لم تستغث إلا بالله ، ولم تلجأ إلا إليه ، وظلت تسعى باحثة عن الماء ، مبتهلة إلى الله تعالى أن يكشف كربها ، فاستجاب الله لها بنبع ماء زمزم .

وبعد انتهاء رسول الله ﷺ من السعي ، أمر كل من لم يسق الهدي معه من وطنه أن يفسخ الحج إلى عمرة ، ويتحلل من حجه ، ويحلق ، وألزمهم بذلك .

فعن جابر ، رضي الله عنه ، كما جاء في ((الصحيحين)) : أهل النبي ﷺ بالحج ، وليس مع أحد منهم هدي (ذبيحة) غير النبي ﷺ وطلحة ، وقدم علي بن أبي طالب من اليمن ومعه هدي ، فقال : أهللت

بما أهل به النبي ﷺ ، فأمرهم النبي ﷺ أن يجعلوها عمرة ويطوفوا ويقصروا ويحلوا إلا من كان معه الهدي ، فقالوا : ننطلق إلى منى ، وذكر أحدنا يقطر وكانت معهم نساؤهم ، فبلغ ذلك النبي ﷺ ، فقام فينا فقال : « لقد علمتم أني أتقاكم لله ، وأصدقكم وأبركم ، ولولا أن معي الهدي لحللت كما تحلون ، ولو استقبلت من أمري ما استدبرت لم أسق الهدي ، فحلوا » . فأحللنا ، وسمعنا ، وأطعنا . فقال سراقة بن مالك : ألعامنا هذا أم للأبد ؟ فقال : « بل للأبد » . وفي لفظ : ثم شبك ﷺ بين أصابعه وقال : « بل للأبد ، وأبد الأبد » . دخلت العمرة في الحج إلى يوم القيامة .

فتحلل الناس بالحلق ، ودعا للمحلقين ثلاث مرات ، وللمقصرين مرة ، وحلوا الحل كله من اللباس والطيب والنساء ، ولم يبق على إحرامه إلا رسول الله ﷺ وعلي بن أبي طالب ، ومن كان معه هدي .

ثم ذهب ﷺ إلى مكان نزوله بالأبطح بظاهر مكة ، فمكث به مدة إقامته بمكة بعيدًا عن الزحام يصلي الأوقات الخمسة ، قصرًا للرباعية إلى يوم التروية (الثامن من ذي الحجة) .

● **الخروج إلى منى يوم التروية :**

وافق يوم التروية يوم الخميس (وسمي يوم التروية ؛ لأن الحجاج يستعدون بأخذ الماء معهم إلى عرفات ، ولكن في أيامنا هذه توفر الماء - والحمد لله - بعرفة ومنى) . فأمرهم النبي ﷺ أن يحرموا بالحج من منازلهم ولم يطوفوا بالبيت ، فلما وصل إلى منى نزل بها وصلى الظهر وبقية الصلوات الرباعية قصرًا ، ومعه أهل مكة ، ثم بات بها ، وكانوا يلبون من وقت إحرامهم التلبية التي هي مقرونة بالإحرام . فلما أصبح من اليوم التاسع ، وكان يوم جمعة ، صلى الصبح وانتظر حتى طلعت الشمس ، فسار إلى عرفة ، حتى بلغ نمرة ، فوجد الخيمة ضربت له (ومعلوم أن نمرة ليست من عرفة) ، فنزل بها حتى زالت الشمس ، ثم خطب الناس على ناقته القصواء وقال :

● **خطبة الوداع :**

« إن الحمد لله ، نحمده ونستغفره ، ونتوب إليه ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، من يهد الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله ، وحده لا شريك له ، وأن محمدًا عبده ورسوله .

أوصيكم عباد الله بتقوى الله ، وأحثكم على طاعته ، وأستفتح بالذي هو خير .

أما بعد : أيها الناس ، اسمعوا مني أبين لكم ، فإني لا أدري لعلي لا ألقاكم بعد عامي هذا في موقفي هذا .

أيها الناس ، إن دماءكم وأموالكم حرام عليكم إلى أن تلقوا ربكم ، كحرمة يومكم هذا ، في شهركم هذا ، في بلدكم هذا ، ألا هل بلغت ؟ اللهم اشهد ، فمن كانت عنده أمانة فليؤدها إلى الذي ائتمنه عليها ، وإن ربا الجاهلية موضوع ، وإن أول ربا أبدأ به ربا عمي العباس بن عبد المطلب ، وإن دماء الجاهلية موضوعة ، وإن أول دم أبدأ به دم عامر بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب ، وإن مآثر الجاهلية موضوعة ، غير السدانة والسقاية » (السدانة : خدمة الكعبة ونظافتها لمن يحمل مفتاحها من بني شيبة ، والسقاية : القيام على سقاية الحجاج من ماء زمزم) ، ثم قال : « والعمد قود (أي قصاص) ، وشبه العمد ما قتل بالعصا والحجر (خطأ) ، ففيه مائة بعير (أي أن الدية مائة بعير) ، فمن زاد فهو من أهل الجاهلية .

أيها الناس ، إن الشيطان قد يئس أن يعبد في أرضكم هذه ، ولكنه رضي أن يطاع فيها بسوى ذلك مما تحقرون من أعمالكم .

أيها الناس ، إن لنسائكم عليكم حقًّا ، ولكم عليهن حق ، ألا يوطئن فرشكم غيركم ، ولا يدخلن أحدًا تكرهونه بيوتكم إلا بإذنكم ، ولا يأتين بفاحشة ، فإن فعلن فإن الله قد أذن لكم أن تعضلوهن وتهجروهن في المضاجع وتضربوهن ضربًا غير مبرح ، فإن انتهين وأطعنكم فعليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف ، وإنما النساء عندكم عوان ، لا يملكن لأنفسهن شيئًا ، أخذتموهن بأمانة الله ، واستحللتم فروجهن بكلمة الله ، واستوصوا بهن خيرًا .

أيها الناس ، إنما المؤمنون أخوة ، فلا يحل لامرئ مال أخيه إلا عن طيب نفس ، ألا هل بلغت ؟ اللهم اشهد ، فلا ترجعوا بعدي كفارًا ، يضرب بعضكم رقاب بعض ، فإني قد تركت فيكم ما إن أخذتم به فلن تضلوا : كتاب الله ، وسنتي . أيها الناس ، إن ربكم واحد ، وإن أباكم واحد ، كلكم لآدم ، وآدم من تراب ، أكرمكم عند الله أتقاكم ، ليس لعربي على عجمي فضل إلا بالتقوى ، ألا هل بلغت ؟ اللهم اشهد » .

قالوا : نعم . قال : « ليبلغ الشاهد منكم الغائب » .

((أيها الناس ، إن اللّه قسم لكل وارث نصيبه من الميراث ، ولا يجوز لوارث وصية في أكثر من الثلث ، والولد للفراش ، وللعاهر الحجر - الرجم - ومن ادعى إلى غير أبيه أو تولى غير مواليه فعليه لعنة اللّه والملائكة والناس أجمعين ، لا يقبل اللّه منه صرفًا ولا عدلاً . والسلام عليكم ورحمة اللّه وبركاته)) .

ثم أمر بلالاً فأذن ، ثم أمره فأقام ، فصلى الظهر ركعتين ، ثم أقام فصلى العصر تقديمًا ركعتين ، وأهل مكة وغيرهم معه يصلون بصلاته .

ثم ركب رسول اللّه ﷺ حتى أتى الموقف فوق ناقته القصواء ، واستقبل القبلة ، فلم يزل واقفًا حتى غربت الشمس ، وهو يذكر اللّه ويدعوه ، أما الصحابة فوقف كل منهم يناجي ربه ويسأله في ذل وضراعة وإخلاص .

وكان ﷺ يقول : ((وقفت هاهنا وعرفة كلها موقف)) . فما يفعله الناس من الصعود على جبل الرحمة شيء لم يأمر به رسول اللّه ﷺ ويعتبر من البدع .

ولقد كان ﷺ في دعائه رافعًا يديه إلى صدره كالذليل ، وأخبر أصحابه أن خير الدعاء دعاء يوم عرفة .

ولقد نزلت على رسول اللّه ﷺ بعرفة آية عظيمة أكملت الدين ، واختتمت بها الرسالة ، وهي قوله تعالى : ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ﴾ [المائدة : ٣] ، وبذلك أكمل اللّه الدين ، وأتم النعمة ، فلا يصح لأحد أن يصنع شيئًا من البدع بعد إكمال الدين ، فكل بدعة ضلالة ، وكل ضلالة في النار .

● **دعاء يوم عرفة :**

ومن دعائه يوم عرفة : ((اللهم إنك تسمع كلامي ، وتعلم مكاني ، وتعلم سري وعلانيتي ، لا يخفى عليك شيء من أمري ، أنا البائس الفقير المستغيث المستجير ، المشفق المقر المعترف بذنبه ، أسألك مسألة المسكين ، وأبتهل إليك ابتهال المذنب الذليل ، وأدعوك دعاء الخائف الضرير ، من خضعت لك رقبته ، وفاضت لك عيناه ، وذل جسده ، ورغم لك أنفه ، اللهم لا تجعلني بدعائك شقيًا ، وكن بي رؤوفًا رحيمًا ، يا خير المسؤولين ، ويا خير المعطين)) . [((مجمع الزوائد)) : (٥٣٦٤)] .

ويروى عنه ﷺ أنه قال : ((خير الدعاء دعاء يوم عرفة ، وأفضل ما قلت أنا والنبيون من قبلي : لا إله إلا اللّه وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد ، يحيي ويميت ، وهو على كل شيء قدير)) . وصح عنه أنه قال : ((أحب الكلام إلى اللّه أربع : سبحان اللّه ، والحمد للّه ، ولا إله إلا اللّه ، واللّه أكبر)) .

ومن الدعاء المأثور : ((ربنا آتنا في الدنيا حسنة ، وفي الآخرة حسنة ، وقنا عذاب النار ، اللهم أصلح لي ديني الذي هو عصمة أمري ، وأصلح لي دنياي التي فيها معاشي ، وأصلح لي آخرتي التي فيها معادي ، واجعل الحياة زيادة لي في كل خير ، والموت راحة لي من كل شر ، أعوذ باللّه من جهد البلاء ، ودرك الشقاء ، وسوء القضاء ، وشماتة الأعداء ، اللهم إني أعوذ بك من الهم والحزن ، ومن العجز والكسل ، ومن الجبن والبخل ، ومن المأثم والمغرم ، ومن غلبة الدين وقهر الرجال ، اللهم إني أعوذ بك من البرص والجنون والجذام ومن سيىء الأسقام ، اللهم إني أسألك العفو والعافية في الدنيا والآخرة ، اللهم إني أسألك العفو والعافية في ديني ودنياي وأهلي ومالي ، اللهم استر عوراتي ، وآمن روعاتي ، واحفظني من بين يدي ومن خلفي وعن يميني وعن شمالي ، ومن فوقي ، وأعوذ بعظمتك أن أغتال من تحتي ، اللهم اغفر لي خطيئتي وجهلي وإسرافي في أمري ، وما أنت أعلم به مني ، اللهم اغفر لي جدي وهزلي وخطئي وعمدي وكل ذلك عندي ، اللهم اغفر لي ما قدمت وما أخرت ، وما أسررت وما أعلنت وما أنت أعلم به مني ، أنت المقدم والمؤخر ، وأنت على كل شيء قدير ، اللهم إني أسألك الثبات في الأمر ، والعزيمة على الرشد ، وأسألك شكر نعمتك ، وحسن عبادتك ، وأسألك قلبًا سليمًا ، ولسانًا صادقًا ، وأسألك من خير ما تعلم ، وأعوذ بك من شر ما تعلم ، وأستغفرك لما تعلم وأنت علام الغيوب .

اللهم رب النبي محمد ﷺ اغفر لي ذنبي ، وأذهب غيظ قلبي ، وأعذني من مضلات الفتن ما أبقيتني .

اللهم رب السماوات ورب الأرض ورب العرش العظيم ، ربنا ورب كل شيء ، فالق الحب والنوى ، منزل التوراة والإنجيل والقرآن ؛ أعوذ بك من شر كل شيء أنت آخذ بناصيته ، أنت الأول فليس قبلك شيء ، وأنت الآخر فليس بعدك شيء ، وأنت الظاهر فليس فوقك شيء ، وأنت الباطن فليس دونك شيء ؛ اقض عني الدين ، وأغنني من الفقر ، اللهم أعط نفسي تقواها ، وزكها أنت خير من زكاها ، أنت وليها ومولاها ، اللهم إني أعوذ بك من الجبن والهرم والبخل ، وأعوذ بك من عذاب القبر ، اللهم لك أسلمت ، وبك آمنت ، وعليك

توكلت ، وإليك أنبت ، وبك خاصمت ، أعوذ بعزتك أن تضلني لا إله إلا أنت ، أنت الحي الذي لا يموت ، والجن والإنس يموتون ، اللهم إني أعوذ بك من علم لا ينفع ، ومن قلب لا يخشع ، ومن نفس لا تشبع ، ومن دعوة لا يُستجاب لها ، اللهم جنبني منكرات الأخلاق والأعمال والأهواء والأدواء ، اللهم ألهمني رشدي ، وأعذني من شر نفسي ، اللهم اكفني بحلالك عن حرامك ، وأغنني بفضلك عمن سواك ، اللهم إني أسألك الهدى والتقى والعفاف والغنى ، اللهم إني أسألك من الخير كله ، ما علمت منه وما لم أعلم ، وأعوذ بك من الشر كله ، ما علمت منه وما لم أعلم)) .

ويكرر : لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد يحيي ويميت ، وهو على كل شيء قدير ، ويكثر : ربنا آتنا في الدنيا حسنة ، وفي الآخرة حسنة ، وقنا عذاب النار ، ويصلي على النبي ﷺ بالصلاة الإبراهيمية .

وكان النبي ﷺ إذا دعا كرر الدعاء ثلاثًا ، ويلح في الدعاء ، ويسأل ربه من خيري الدنيا والآخرة .

● **فضل يوم عرفة :**

إنه يوم عظيم ، يُذكِّر بيوم المحشر الكبير ، يجود الله فيه على عباده ، ويباهي بهم ملائكته ، ويكثر فيه العتق من النار ، وما يُرى الشيطان في يوم هو فيه أدحر ولا أصغر ولا أحقر منه في يوم عرفة إلا ما رئي يوم بدر ، وذلك لما يرى من كرم الله على عباده وإحسانه إليهم ، وكثرة عتقه ومغفرته .

فقد روى مسلم في ((صحيحه)) عن عائشة ، رضي الله عنها ، أن النبي ﷺ قال : ((ما من يوم أكثر من أن يعتق الله فيه عبدًا من النار من يوم عرفة . وإنه ليدنو ثم يباهي بهم الملائكة ، فيقول : ما أراد هؤلاء ؟)) .

فينبغي للمسلمين أن يهينوا عدوهم الشيطان بكثرة الذكر والدعاء وملازمة الاستغفار والتوبة من جميع الذنوب والخطايا .

● **الانصراف إلى المزدلفة :**

فإذا غابت الشمس انصرفوا إلى مزدلفة بسكينة ووقار ، وأكثروا من التلبية ، ولا يجوز الانصراف من عرفة قبل غروب الشمس وإلا وجب عليه دم .

ويصلي بمزدلفة صلاة المغرب والعشاء جمع تأخير ، عملاً بقول الرسول ﷺ : ((خذوا عني مناسككم)) . ولا يلتقط حصى الجمار من مزدلفة ، كما يفعل من لا يعرف السنة ، فإن النبي ﷺ لم يجمعها من مزدلفة ، ولكن جمعت له من الطريق ، وفي أيام منى كان يجمع الحصى من المكان الذي نزل فيه بمنى ، فاعتقاد الناس أن الحصى يجمع من مزدلفة دليل على الجهل بفعل رسول الله ﷺ .

فإذا انتهى من صلاة المغرب والعشاء بمزدلفة بات فيها حتى يصلي الصبح ، ثم يأتي المشعر الحرام ويذكر الله عنده ويلبي .

ويجوز للضعفة من النساء والصبيان وغيرهم أن يدفعوا إلى منى آخر الليل وقبل الفجر ؛ لحديث عائشة وأم سلمة ، أما غيرهم من الحجاج فيتأكد في حقهم أن يقيموا بمزدلفة إلى أن يصلوا الفجر ، ويذكروا الله عند المشعر الحرام .

ولا يزال الرسول ﷺ واقفًا بمزدلفة حتى أسفر الصبح جدًا ، وحينذاك جاءه عروة بن مضرس الطائي فقال : يا رسول الله ، إني جئت من جبلي طيئ ، أكللت راحلتي ، وأتعبت نفسي ، والله ما تركت من جبل إلا وقفت عليه ، فهل لي من حج ؟ فقال ﷺ : ((من شهد صلاتنا هذه فوقف معنا حتى ندفع ، وقد وقف بعرفة قبل ذلك ليلاً أو نهارًا ، فقد تم حجه ، وقضى تفثه)) . وبهذا احتج من قال : إن الوقوف بمزدلفة والمبيت بها ركن كعرفة ، وهو مذهب ابن العباس وابن الزبير وكثير غيرهما . والأصح أن من فاته المبيت بمزدلفة من الأقوياء بغير عذر عليه دم .

وفي موقفه هذا قال : ((وقفت هنا ، ومزدلفة كلها موقف)) .

● **العودة إلى منى لرمي الجمرات والمبيت بها :**

وفي طريقه إلى منى سألته امرأة من خثعم عن الحج عن أبيها ، وكان شيخًا كبيرًا لا يستطيع الجلوس على الرحل ، فأمرها أن تحج عنه ، وسأله آخر عن أمه العجوز ، فقال : ((أرأيت إن كان على أمك دين ، أكنت قاضيه ؟)) قال : نعم ، قال : ((فحج عن أمك)) . وهذا خاص بالحج فقط .

ثم سار ﷺ إلى منى قاصدًا جمرة العقبة ، فلما بلغها بعد طلوع الشمس وقف أمامها ، ورماها وهو على راحلته بسبع حصيات ، يكبر مع كل حصاة ، ثم قطع التلبية بعد الرمي .

وينبغي أن يتصور الرامي أنه إنما يحاول إخراج حظ الشيطان من نفسه بهذه الحركة العنيفة ، مظهرًا أشد العداوة والكره له ، معظمًا ربه بهذا التكبير ، ولا يظن

أنه يرمي الشيطان بهذه الحصاة ، فإن الشيطان يوسوس في الصدر ، ويجري من ابن آدم مجرى الدم .

ثم رجع رسول الله ﷺ إلى قلب منى ، فخطب الناس خطبة بليغة ، أخبرهم فيها بحرمة يوم النحر - يوم الحج الأكبر - وكان يوم السبت - وفضل هذا اليوم عند الله ، وحرمة مكة على جميع البلاد ، وأمرهم بالسمع والطاعة لأميرهم ما دام ملتزمًا بكتاب الله ، وعلمهم بقية مناسكهم ، وأنزل المهاجرين عن يمين القبلة ، والأنصار عن يسارها ، والناس من حولهم ، وحذر الناس أن يرجعوا بعده كفارًا يضرب بعضهم رقاب بعض ، وأمرهم بالتبليغ عنه وقال : ((نضر الله امرءًا سمع مقالتي فوعاها ، ثم أداها كما سمعها ، فرب مبلغ أوعى من سامع ، ورب حامل فقه إلى من هو أفقه منه)) . وقال : ((إن الله يقول : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾ [الحجرات : ١٣] ، فليس لعربي على عجمي فضل ، ولا لأبيض على أسود فضل إلا بالتقوى ، يا معشر قريش ، لا تجيئوا بالدنيا تحملونها على رقابكم ويجيء الناس بالآخرة ، فإني لا أغني عنكم من الله شيئًا)) .

وكان في كل خطبة يودع الناس ، ولذلك سميت حجة الوداع .

وقد التف الناس حوله بعد رمي الجمرة يسألونه ، فهذا يقول : حلقت قبل أن أرمي ، فيقول له : ((افعل ولا حرج)) ، فما سُئل عن شيء قدم أو أخر ، إلا قال : ((افعل ولا حرج)) .

وخير الهدي هدي محمد ﷺ ، وأيسر الدين ما جاء به رسول الله ﷺ .

ثم ذهب رسول الله ﷺ إلى المنحر بمنى فنحر ثلاثًا وستين بدنة (جملاً) بيده ، وهذا العدد هو عدد سنوات حياته ﷺ ، ثم أمر عليًا أن ينحر بقية المائة ، وكان رسول الله ﷺ قد ساق من المدينة ثلاثًا وستين بدنة ، وجاء علي من اليمن بالباقي .

ثم أمر عليًا أن يأخذ من كل واحدة بَضعة - بفتح الباء ؛ أي قطعة - ويطبخها جميعًا ، فأكل منها وشرب من مرقها ، وأمر أن يفرق من لحمها كله ، ويتصدق بجلودها ، وأن يعطي الجزار أجره من غيرها . ثم دعا الحلاق (معمر بن عبد الله) ، فأشار له إلى شقه الأيمن ، ثم الأيسر ، وقسم شعر الشق الأيمن في المهاجرين ، ودفع شعر الشق الأيسر لأبي طلحة ليوزعه على الأنصار .

والحلق أو التقصير واجب في مناسك الحج ، به يتحلل الإنسان من إحرام ويلبس ثيابه ويتعطر ، غير أنه لا يأتي النساء إلا بعد طواف الإفاضة .

ثم أفاض النبي ﷺ إلى مكة قبل الظهر راكبًا ، فطاف طواف الإفاضة - ويسمى طواف الزيارة - بدون إحرام وبدون رمل ، ولم يسع بين الصفا والمروة ؛ لأنه أدخل العمرة في الحج ، وكان قارنًا ، أما أصحابه الذين فسخوا الحج إلى عمرة فجاءوا بسعي الحج سبعة أشواط كما سعوا للعمرة يوم دخول مكة .

وبعد طوافه وصلاته أتى إلى زمزم فشرب منها ، فوجد آل العباس يسقون الناس ، فقال : ((لولا أن يغلبكم الناس لنزلت وسقيت معكم)) . ثم ناولوه الدلو فشرب وهو قائم . ثم رجع إلى منى وصلى بها الأوقات قصرًا حتى أصبح من اليوم الحادي عشر انتظر حتى إذا زالت الشمس مشى من منزله إلى الجمرة الصغرى (التي تلي مسجد الخيف) ، فرماها بسبع حصيات جاء بها من منزله بمنى (لأنه لم يأت من مزدلفة بشيء) ، ويكبر على كل حصاة ، ثم استقبل القبلة ودعا الله تعالى .

ثم أتى الجمرة الوسطى وفعل عندها كذلك ، ثم دعا الله مستقبلاً القبلة أيضًا ، ثم أتى الجمرة الكبرى ورماها وعاد إلى منزله .

وقد استأذنه العباس أن يبيت بمكة لأجل السقاية فأذن له ، وبات بمنى ثلاث ليال ولم يتعجل في يومين ، بل تأخر حتى أكمل رمي أيام التشريق الثلاثة ، وبعد ظهر الثلاثاء (١٣ من ذي الحجة) توجه إلى الأبطح (منزله بمكة) ، وصلى الأوقات بها قصرًا ، ورقد رقدة ، ثم نهض ليلاً وطاف بالبيت طواف الوداع ، ولا يرمل ، وبعد صلاة الصبح عاد إلى المدينة بحج مبرور .

وأسقط طواف الوادع عن كل امرأة جاءها الحيض بعد طواف الإفاضة ، ومنهن صفية أم المؤمنين ، رضي الله عنها ، فقد حاضت بعد الإفاضة ، فقال : ((أحابستنا هي ؟)) قيل : إنها أفاضت ، فأسقط عنها طواف الوداع الذي يعد واجبًا ، ومن تركه فعليه دم .

والله ولي التوفيق .

موضوع العدد

من مدرسة الحج والصبر

خواطر حاج

بقلم الدكتور / محمد بن سعد الشويعر

مستشار مكتب سماحة مفتي عام المملكة العربية السعودية رئيس تحرير مجلة البحوث الإسلامية

الحج جامعة متكاملة بها شعب وفنون ، وعلوم ومعارف ، فهو يوطن النفوس ويثقفها ، وهو يهديها ويعلمها ، فمن مدرسته تنهل النفوس ، وترتوي الأفئدة .

والحج كسائر العبادات في الإسلام ، علاوة على كونها عبادة تؤدى لله خالصة من القلوب ، واستجابة للأمر الذي فرضه الله سبحانه : ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً ﴾ [آل عمران : ٩٧] .

فإن هذا الأمر يربط المخلوق بالخالق ، ويرقق القلوب التي تؤدي هذه العبادة بنفس راضية ، ورغبة فيما عند الله .. ومع هذا فإن هذه النفوس تخرج من كثير من العبادات في الإسلام بفوائد تلمسها ، ونتائج تحسها ذات أثر في الحياة معينة على تخطي صعابها وتجاوز عقباتها .

والنفوس المتروية بمنهل الإسلام ، والمتشبعة من معينه ترجع الفوائد والاستنتاجات إلى ما يؤثر في النفوس ، ويعود على المجتمع بالخير والنفع وفق إطار الإسلام وقيمه العليا التي يتأسس عليها المجتمع المثالي بقيمه وأخلاقه ، ووفق المعايير التي تحاول كثير من الأمم والأفراد على وضعها بنماذج المثاليات التي تتطلع إليها ، فالإسلام بشرائعه وتعاليمه ، وباستنتاجات العارفين من كل فن عن المردود من أوامره ونواهيه ، فإنه يأتي في القمة من كل أمر وفي المكان الرفيع من كل نتيجة .

ويتضح مثل هذا مما أجراه الدارسون من مسلمين وغيرهم عن المردود لكل عمل يقوم به الفرد في الإسلام ، مما يعود عليه وعلى أبناء مجتمعه بالخير والفائدة .

وهذه النتائج شهادات لمن لا يؤمنون إلا بما هو محسوس وملموس بأن الإسلام علاوة على كونه بشرائعه مخاطبة للوجدان ، فهو رفيع المنزلة بالفوائد بعيدة المدى ، التي تتجدد نتائجها مع كل جديد يطرأ في حياة الإنسان على وجه الأرض ، وفي هذا دلالة على عالمية الإسلام وديمومته ، وصلاحه لكل عصر ومكان .

سنأخذ اليوم درسـًا مـن دروس الحـج فـي الصبر ؛ لأن للصبر مكانـة كبيرة فـي الإسـلام ، فهو محور الأعمال ؛ والمسيطر علـى الانفعالات وسائر التصرفات .

وللصبر مكانـة عامـة فـي عقيـدة الإسـلام ، ومنزلة خاصة في كل عبادة مـن العبادات ، فهي تنميه وتقويه ، وتوصلـه وتدفـع النفوس للتخلق به . وفي الحج نلمس مكانـة الصبر فـي تهذيب النفس وتوطينها على أمور عديدة ، فعندما تسير مع الحاج منذ أن يبدأ فكرة الحج ويستجمع نفسـه وشئونه للمسير في رحلتـه التعبديـة مـع اللّـه في استجابة للأمر وطواعية في التنفيذ ، فإننا نلمس منه أمورًا :

يتصبر في النفقة والتوسيع علـى نفسـه حتـى يجمـع نفقـة الحـج التـي يحـرص بـأن تكـون مـن مكسب حلال ، فيصبر على الشدة ، ويصابر نفسه عن الوقـوع فـي الحـرام ، أو أن يدخـل مكسبه جزءًا من الحرام .

وما ذلك إلا لأن الحج عبـادة ، والعبادة لا بد أن تكـون مـؤداة بطيبـة نفس ، وطيبـة مكسـب ، وطيبة عمل : « فاللّه جل وعـلا طيب ، ولا يقبل من الأعمال إلا ما كان طيبـًا » .

ثم يصبر المحرم عن أشياء محظورة عليـه ، هي فـي حياتـه العاديـة أمـور مستحسـنة عنـده ، وترغـب فيهـا النفس ؛ فـالطيب ولبـس المخيـط والأخـذ مـن الشـعر والظفـر ، ومقاربـة النسـاء وغيرها من المحظورات ، يجد الإنسان مشقة فـي تركها ، ولكنه الصبر الذي يحـرص الإسـلام علـى تمكينه من أبنائه في أعمـالهم وقلوبهـم ، ويتمثـل هذا الصبر في كل شعيرة من شعائره .

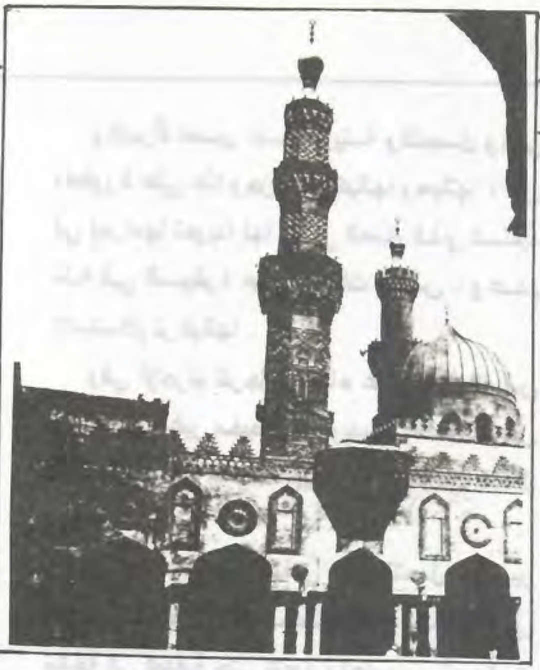

فالحاج يغالب نفسه ويدافعها عن الوقوع في هذه المحظورات ، وكلمـا حـاولت نفسـه الاقتراب دفعه الصبر وحال بينه وبين مقاربة هذا الأمر .

فـالطيب والنساء قد قـال فيهمـا رسـول اللّـه ﷺ : « حبـب إلـيَّ مـن دنيـاكم : الطيـب ، والنسـاء » . وهمـا ممـا أباحـه اللّـه للإنسـان ، لكنهما في الإحرام وطيلة أيام معينـة من الحـج ، ما دام الحاج لم يتحلل التحلل الأكبر يعتبران من المحظورات اللاتي لا بد أن يصبر الحـاج ويغالب نفسه عن عملها امتثالاً للأمر واجتنابـًا للنهي ، مع أنها من مألوفـات حياتـه ، والأشياء المألوفة التي تملك النفس ، وذلك لكي يخرج الحاج بدرس جديد ، وهو أنـه بـالصبر يتـم بـه قهـر النفـس والتحكم فيها والتغلب على نوازعها، كما أنه لا بد من وضع هدف لذلك الأمـر لـيزيد النفس حماسـة واندفاعـًا ورغبـة فـي العمـل ومحافظـة علـى الجهد ، والهدف في الحج هو الأجر الجزيل الـذي وعد به الحج المبرور .

والمرأة تصبر عن الزينة والتجمل وهي مفطورة على هذا وجزء من كيانها وحياتها ؛ لأن في إحرامها تعويدًا لها على العمل الذي تستفيد منه في السيطرة على نزعات النفس ، وعدم الاستسلام لرغباتها .

وفي الإحرام للرجل والبقاء على هذا اللباس من قطعتين غير مخيطتين ، وبدون غطاء للرأس فترة طويلة هي المدة ما بين عقد الإحرام والتحلل الأصغر .

كل هذا فيه تعويد للنفس على التحمل ، وجبر لها على الصبر ، تلك الخصلة التي تجد النفوس مشقة في البداية حتى تتعود وتحتسب ، ثم يكون سجية يأخذ منه المسلم عبرة في تفقد أحوال إخوانه المسلمين وما يمسهم من كرب ومشقة ، فشعور المسلم بما وقع فيه أخوه من فقر وشظف عيش ، ومن عري وجوع ، ومن تعرض لأحوال الجوّ من قرٍّ وحر ، يجعله يجود عليهم ويتذكر أحوالهم دائمًا حسبما ارتسم في مخيلته عن هذا الموقف .

ذلك أن اتحاد الحجاج في لباس واحد ، وفي وضع واحد ، وفي مظهر واحد ، كل هذا مما يزيد النفوس ترابطًا والأخلاق تماسكًا ، والمجتمع تآلفًا .

كما أن ذلك مما يقوي فضيلة الصبر وينمي ركائزه في النفوس التي تتعود عليه ، وتآلف عمله حتى يكون سجية من سجايا النفوس المحببة ، التي يحرص الإسلام على تعويد أبنائه عليها لتكون من الطباع المألوفة ، كما يقول الشاعر العربي :

سجية تلك فيهم غير محدثة
إن الخلائق فاعلم شرها البدع

وفي عرفات ومنى حيث يشتد الحر في الصيف ، والقر في الشتاء ، تصبر النفوس التي تعودت السكنى في الأُبهة والتنعم في الرياش والتكييف على السكنى في الخيام والشظف في الفراش ، وتحمل الغبار والأتربة ، وقد يفترش بعضهم الأرض الخشنة ، ويضطر للمسير على قدميه مع التعرض لأحوال الجو ليلاً ونهارًا من شمس محرقة وغبار وهواء وجوع وعطش ، بل قد يتعرض لأكثر من ذلك ، وهو هوام الأرض .

ولولا أن اللّه سبحانه وتعالى قد قيض لهذه المشاعر حكومة ساهرة على مصالح الحجاج ، باذلة بسخاء ما يوفر لهم الراحة والأمن والإضاءة ووسائل الهداية بأنواعها لرأى الحجاج ما رآه الألوف منهم في أحقاب ماضية من النهب والسلب والوباء والضياع والجوع والعطش وغير ذلك من ركام المشقات التي لا يحيط بها التعبير ، ففي الحج دروس كثيرة في الصبر ، وتعويد النفوس على الخشونة لتكون مستعدة وقت الحاجة ، وقد قال عمر بن الخطاب ، رضي اللّه عنه : (اخشوشنوا ، فإن النعم لا تدوم) ، فالحاج والحاجة يتعودان الصبر من أعمال الحج وشعائره في أمور كثيرة مثل :

■ السير في المواصلات والتقيد بالأنظمة ، بل الاضطرار للسير على الأقدام وبمساحات لم تكن متعودة .

■ في الانصراف من عرفة وعدم المزاحمة والإضرار بالمسلمين ؛ لأن رسول اللّه ﷺ كان يقول في ذلك الانصراف : « عباد اللّه السكينة السكينة » .

وما السكينة التي يأمر بها الرسول الكريم ﷺ إلا مدخل من مداخل الصبر الذي يجب تعويد النفوس عليه ، وربطها به .

■ تحمل المشاق الكثيرة في جميع المواقف من البدء حتى الختام ، وكذا الازدحام والضنك وضيق المسكن .

■ الصبر على ما يمس البدن من جهد ، والأعضاء من تحمل ، والمال من نفقة ، والبطن من جوع وعطش .

وإذا تتبعنا الحاج في حركاته منذ أن يتحرك من بيته ، وحتى يعود إليه - إن شاء اللَّه ظافرًا مقبولاً - فإنه في أعمال كلها تحتاج إلى الصبر ، وتتطلب منه التحمل ومغالبة النفس وإكراهها على ما لا تألفه ، مع بذل الجهد الذي لا يؤدى إلا بالصبر والمصابرة .

لكنه يستسيغ هذا ويرتاح إليه ؛ لأنه يمتثل أمر اللَّه ، واللَّه جل وعلا لا يكلف إلا ويعين ، ولا يكلف البشر بشيء فيه شر لهم ولا إضرار بهم ، بل بما يعود عليهم في مجتمعهم بالنفع ، وأنفسهم بالخير ، سواء ظهر لهم هذا أو خفي عليهم .

وهكذا يدرك الحاج أنه بصبره وتحمله قد خرج من الحج بدرس جديد ومفيد ، وخصال حميدة تغيّر نفسيته ، وتقوي معنويته ، وتفيد مجتمعه .

ومن هذا الدرس أيضًا : يستفيد الحاج معنى جديدًا لحكمة تكرار الصبر في كتاب اللَّه الكريم في أكثر من تسعين موضعًا ، كما يدرك مكانة الصبر في عقيدة وسلوك الفرد المسلم والجزاء الذي أعده اللَّه للصابرين بقوله : ﴿ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ [الزمر : ١٠] .

كما يدرك الحاج أيضًا مكانة الصبر في نيل المكانة التي يريد في حياته العملية مهما كان ذلك العمل من صناعة وتجارة وزراعة وعلم وغيرها ، وأنه لن يبلغ ما يرنو إليه ولن يصعد درجات النتائج المرضية ، إلا على الصبر ، ومع تجرع آلام الصبر ومرارته وذوق حلوه ومره .

فالإسلام يجعل سلم الآخرة الصبر على المكاره وعن المعاصي ، والتحمل في الطاعة ، كما يجعل سلم الدنيا لبلوغ النجاح والمطالب الصبر والتحمل ؛ والفرق بين طالب الدنيا وطالب الآخرة هو الإيمان والاحتساب والامتثال ، واعتبار ما جاء في شعائر الدين الإسلامي دروسًا مفيدة في هذا المجال ومعينة على الوصول إلى الهدف ، والحج في مقدمتها ، حيث يتمثل في التواضع في المظهر والمركب والملبس والمطعم وفي العمل والتقيد بالمواعيد ، وفي الاندماج مع الآخرين وتفقد أحوال المسلمين .

نسأل اللَّه أن ينفع المسلمين بما عملوا ، وأن يجعل ما أخذوه من دروس في الحج منهج سلوك في حياتهم العامة دائمًا ، حتى يجعلوا من أنفسهم وأعمالهم نماذج فريدة في الدعوة إلى اللَّه ، وتبصير الأمم الأخرى بمكانة الإسلام ودوره في تهذيب النفوس ، وصيانة المجتمعات عن الخطأ والزلل ، وحمايته لها من الجريمة وسيطرة الهوى .

واللَّه الهادي إلى سواء السبيل .

رسالة والرد عليها

بقلم الرئيس العام / محمد صفوت نور الدين

أخرج البخاري ومسلم في ((صحيحيهما)) عن أبي هريرة ، رضي الله عنه ، أن رسول الله ﷺ قال : ((آية المنافق ثلاث : إذا حدث كذب ، وإذا وعد أخلف ، وإذا اؤتمن خان)) . زاد مسلم في رواية : ((وإن صام وصلى وزعم أنه مسلم)) .

وأخرج البخاري ومسلم عن عبد الله بن عمرو بن العاص ، رضي الله عنهما ، أن رسول الله ﷺ قال : ((أربع من كن فيه كان منافقًا خالصًا ، ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها : إذا اؤتمن خان ، وإذا حدث كذب ، وإذا عاهد غدر ، وإذا خاصم فجر)) .

بعون من الله تعالى يصلنا في المركز العام كثير من الرسائل تحمل استفسارات شتى ، وأمور أخرى غير الاستفسارات ، بعضها يحتاج إلى ردود خاصة تكون بالبريد أو تنشر دون التصريح فيها بأسماء وبيانات مُعرِّفة .

واليوم حمل البريد إلينا رسائل تفحصت من الخارج ثلاث رسائل منها ، فإذا هي بخط متشابه من خارجها ، ولما فضضتها فإذا بداخلها صور لرسائل ثلاث :

الأولى : بدأت بقوله : شاب يعمل في شركة .

والثانية : شاب ابتلي بالكبائر .

والثالثة : شاب كان يقوم بمعاكسة النساء .

وبتصفح الرسائل الثلاث وجدت أن جميعها مختتمة بتوقيع (خ . ف . القاهرة – مصر) .

وقد ذكر فيها كاتبها ثلاث وقائع ، هممت بالإعراض عن الرسائل الثلاث ؛ لأن ما فيها من عناوين لا يعين على الرد البريدي ، ونحن لا نحب أن نذكر من الأسئلة ما انطوى على فحش القول ، وذلك لأسباب منها :

أولاً : القاعدة القائلة : اذكر الخير فينتشر ، ولا تذكر الشر ليندثر .

ثانيًا : أن بعض أصحاب الأهواء المنحرفة يؤلفون قصصًا فاحشة غريبة ، ثم يسوقونها إلى الصحف والمجلات لينشر مشفوعًا بردود ، أيًا كانت هذه الردود ، فيتحقق مقصودهم من إشاعة الفاحشة ، والله قد هدد هؤلاء في سورة النور بقوله : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ ﴾ [النور : ١٩] .

ثالثًا : إن بعض القراء عندما يقرأ مثل هذه الحكايات يظن أنها أخذت صفة العموم ، فيصور له شيطانه أن الفضيلة قد اندثرت ، وأن الرذيلة قد عمت ، وهذه من الفاحشة التي لا نحب إشاعتها أيضًا .

رابعًا : أن الأصل في الشرع هو الستر على المذنب ، مع إعانته على ترك ذلك الذنب والعودة للصلاح .

ولكني استطعت أن أنسج من هذه الرسائل الثلاث صورة لذلك الشاب ، فرأيته شابًا قد حسَّن اللّه تعالى ظاهره ، وأحسن الناس الظن به ، ففتحوا له الآذان والقلوب ، وائتمنوه على الأموال والوثائق ، وكان عند حد الأمانة في المال ، فوسوس إليه الشيطان ، فأخذ يستخدم الهاتف ليتصل ببعض البيوت بكلام يخدش الحياء ، واستمر على ذلك سنوات ، ثم أغواه الشيطان بمخاطبة بعض من يلقاهن من النساء في الطرقات والمواصلات ، ويستدرج من يستطيع منهن إلى موقع عمل هو عليه أمين ، فيقع معهن في بعض الفواحش التي قد تؤدي إلى أشد الفواحش ، فيخون ربه وعمله وشرفه ودينه ، ويغرر بنساء وقعن في خطيئة التبرج والتسكع ، وأرخى لهن أولياؤهن الخروج والتأخر بغير رقابة ، فيخالفون الشرع مرات ؛ مرة بالتبرج ، وقد أُمرن بالحجاب ، ومرة بالخروج من البيت لغير حاجة ، وقد أُمرن بالقرار فيه ، ومرة بعدم رقابة الأولياء فتحًا لباب الشيطان ظنًّا أن ذلك تخلف ورجعية ، ومرة بالاستهانة بالأمور الشرعية ، كأنهم يظنون أن الشرع إنما نزل ليعمل به من طعن في السن ؛ أي عند بلوغ سن التقاعد ، ولم يعلموا أن المكلف من الرجال هو من بلغ الحلم ، والمكلف من النساء هي من بلغت المحيض ، وأن الحجاب فرض لازم على كل امرأة بلغت المحيض ، بل لا بد أن تتعود عليه قبل المحيض ، وأن للحجاب شروطًا : أن يعم البدن كله ، وألا يكون زينة في نفسه ، ولا يصف ، ولا يشف ، وألا يكون مبخرًا أو معطرًا ، وألا يكون لباس شهرة ، وألا يشبه لباس الكافرات ، وألا يشبه لباس الرجال . فضلاً عن أن تعمل من الحركات والأعمال ما تبدي ما خفي من زينتها ، وكذلك لا يخاطبها الرجال إلا من وراء حجاب ، ولا يخضعن بالقول ليطمع الذي في قلبه مرض ، وأن تعلم المرأة وأهلها أن الزواج رزق من اللّه ، يطلب من ورائه السعادة ، والسعادة كذلك رزق ، والرزق عند اللّه ، ورزق اللّه لا ينال إلا بطاعته ، كما جاء في حديث أحمد المشهور : ((إن روح القدس نفث في روعي ، أن نفسًا لن تموت حتى تستكمل رزقها وأجلها ، فاتقوا اللّه وأجملوا في الطلب ، ولا يحملنكم استبطاء الرزق على أن تطلبوه بمعاصي اللّه ، فإن ما عند اللّه لا ينال إلا بطاعته)) .

هذا ، والذي ظهر من هذه الرسائل أن الشاب الأمين وقعت عليه دعوى من بعض زملائه بتسلم مبلغ ثلاثة آلاف جنيه صارت عجزًا عنده في ميزانيته ، والشيطان يوسوس له ويقول : إن رؤساءك يثقون فيك ، فلو أخذت هذا بغير علم منهم فستستر على نفسك ، وتخرج من ذلك المأزق الذي ليس لك فيه من ذنب ، فيوقعه الشيطان بعد ذنوبه السابقة في ذنب الاختلاس من الأموال .

فهذا شاب قد حسن اللّه ظاهره ، وهو سود داخله ، واستهواه الشيطان ليوقعه في الشر والآثام ، وأراد أن يكمل عليه بقية هذه الشرور ، وهكذا الشيطان يستدرج أصحابه ليغويهم : ﴿ إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴾ [فاطر : ٦] .

وكأن اللّه - جلت قدرته - أرسل هذه البلية لذلك الشاب فأحاطت به فأصبح زاهدًا في الهاتف أن يستخدمه في معاكساته ، وزاهدًا في معاكسة النساء وطلب الفحش منهن ، فلو أحاطت به رحمة اللّه لبقي على ذلك الحال من هجران المعاصي وترك الفواحش ، والعودة إلى اللّه ، والتوبة النصوح ، والتضرع إلى اللّه سبحانه أن يحيطه بعنايته فيتم عليه التوبة ، كما ستره في ذلك الزمن الطويل ، فيستر على نفسه ، ويكف عن هذه الذنوب والمعاصي ، ولا يدع باب ذلك المكان الذي يسهل له مهمة هذه الفواحش مفتوحًا أمامه ، إنما يغلقه غلقًا كاملاً ، وليحذر من معالجة الخطأ بخطأ آخر ، ولو جر عليه ذلك ظلم في الدنيا ، فطولب برد هذه المبالغ التي لم تدخل إلى حوزته ، فإنه سيطالب بالمظالم التي وقع فيها أن يردها إلى أصحابها في الآخرة ، يوم لا درهم ولا

دينار ، ولا ينفع عذر ولا مال ولا بنون ، إلا من أتى اللّه بقلب سليم ، وكيف يستطيع لها ردًا إن لم يكن له عند غيره مظالم يطلب لها ردًا ، كذلك فيرد مظالم الناس من حسناته ويحمل من حسنات من ظلموه ، فعليه أن يكون صريحًا في أمر ذلك البلاء الذي ظلم فيه ، فيصارح من استأمنه من رؤسائه ومسئوليه ليبين أنه من ذلك بريء ، وأن يطلب الاستيثاق من تلك الدعوى في المال الذي لم يصله ، ولو وقع به ظلم لا يستطيع له ردًا .

فعن أبي كبشة الأنماري ، رضي اللّه عنه ، قال : سمعت رسول اللّه ﷺ يقول : « ثلاث أقسم عليهن وأحدثكم حديثًا فاحفظوه - قال -: فأما الثلاث الذي أقسم عليهن ؛ فإنه ما نقص مال عبد من صدقة ، ولا ظُلم عبد بمظلمة فيصبر عليها إلا زاده اللّه عز وجل بها عزًا ، ولا يفتح عبد باب مسألة إلا فتح اللّه له باب فقر ، وأما الذي أحدثكم حديثًا فاحفظوه » . فإنه قال : « إنما الدنيا لأربعة نفر ، عبد رزقه اللّه عز وجل مالاً وعلمًا ، فهو يتقي فيه ربه ، ويصل فيه رحمه ، ويعلم للّه عز وجل فيه حقه ، قال : فهذا بأفضل المنازل . قال : وعبد رزقه اللّه عز وجل علمًا ولم يرزقه مالاً . قال : فهو يقول : لو كان لي مال عملت بعمل فلان . قال : فأجرهما سواء . قال : وعبد رزقه اللّه مالاً ولم يرزقه علمًا فهو يخبط في ماله بغير علم لا يتقي فيه ربه عز وجل ، ولا يصل فيه رحمه ، ولا يعلم للّه فيه حقه ، فهذا بأخبث المنازل . قال : وعبد لم يرزقه اللّه مالاً ولا علمًا ، فهو يقول لو كان لي مال لعملت بعمل فلان ، قال : هي نيته فوزرهما سواء » .

وشاهدنا في الحديث : « لا ظلم عبد بمظلمة فيصبر عليها إلا زاده اللّه عز وجل بها عزًا » .

فإن صح حدثي في الجمع بين الرسائل الثلاث ولم تكن من خيال من يحب أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا ، فإنني أوصيه بالآتي :

أولاً : بإغلاق باب الشر ، حيث يتمكن في محل يأمن فيه ، فيعمل ما يشاء من الفواحش مع الهاتف أو ساقطات أو مغرر بهن .

ثانيًا : أن يختار الصحبة الصالحة التي تعينه على الخير وتحثه عليه ، وتعينه على الاستمرار فيه ، الصحبة الصالحة التي يتنافس معها في فعل الخيرات ، وهجر المنكرات ، ويكثر من مجالستها والتعاون معهم على البر والتقوى .

ثالثًا : عليه بمجالس العلم والجلوس عند ركب العلماء ، والتعرف على سير الأولين من الصحابة والصالحين ، والاستعداد ليوم القيامة ، حيث قال سبحانه : ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۞ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴾ [الزلزلة : ٧، ٨] .

رابعًا : عليه أن يكون صريحًا في أمور عمله مع الذين استأمنوه على أموالهم ، وأن يجتهد أن يجعل باطنه أكثر جمالاً من ظاهره ؛ لأن سمة المنافقين ؛ أن يحسنوا الظاهر ويفسدوا الباطن .

خامسًا : أن يلتزم الشرع في غض البصر وعدم الاستماع لقول امرأة تخضع بالقول ، وألا يخلوا بامرأة غير ذات محرم ، وألا يفرّط في أمر شرعي ؛ لأن للشيطان استدراجًا يستدرج به ضحاياه ، حتى يكون من أصحاب السعير : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ ﴾ [النور : ٢١] .

سادسًا : أن يحاسب نفسه أولاً بأول ، فيلزمها الشرع ، ويعلم أن اللّه يقدر عليه ، وهو يراه في كل حاله ، وإن خفي على الناس ، وأن يعلم أن اللّه عز وجل قال : ﴿ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا ۞ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لاَ يَحْتَسِبُ ﴾ [الطلاق : ٢، ٣] .

سابعًا : أن يعلم أن المصيبة التي تذكره بأخطائه وترده إلى ربه ليرجع عن خطئه ، إنما هو خير ساقه اللّه إليه فلا يعالجها بمخالفة للشرع ، فيكون شديد الحرص على ألا يخون من أمنه ، ولا يرد على الخيانة بخيانة .

ثامنًا : أن يعلم أن باب التوبة مفتوح ، لا يُغلق ، وأن اللّه رحيم كريم ، يحب عبده إذا تاب إليه ورجع ، وأن يبدل سيئاته حسنات ، وأن الحياة لا يعلم عبد مداها ، فعسى أن يكون الموت قريبًا ، فإن بقي على المعصية ، فالنار تنتظره ، وإن أخلص التوبة فـ ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ ﴾ [البقرة : ٢٢٢] .

وفي الحديث عن أنس بن مالك ، رضي اللّه عنه ، قال : قال رسول اللّه ﷺ : ((للّه أفرح بتوبة عبده من أحدكم كان على راحلته بأرض فلاة ، فانفلتت منه وعليها طعامه وشرابه ، فأيس منها ، فأتى شجرة فاضطجع في ظلها وقد أيس من راحلته ، فبينما هو كذلك إذا هو بها قائمة عنده ، فأخذ بخطامها ، ثم قال من شدة الفرح : اللهم أنت عبدي وأنا ربك ، أخطأ من شدة الفرح)) .

هذا ، وينبغي أن نذكر النساء وأولياء أمورهن أن الشرع إنما أنزله رب العزة لسعادة الخلق ولحمايتهم ، وأن الشيطان يريد من العبد أن يتبع خطاه ، ورب العزة حرم علينا اتباع خطوات الشيطان : ﴿ وَلاَ تَتَّبِعُواْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴾ [البقرة : ٢٠٨] .

وأن المرأة المتبرجة عاصية للّه تعالى في أي عمر كان ذلك التبرج ، وأن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم ، فاحذروه ، وأن الذي أحكم الشرع هو الذي خلق الخلق سبحانه وتعالى ، فلا فلاح للناس إلا بشرع اللّه الذي أنزله ، وعلى أولياء الأمور ألا يلقوا بنسائهم في حبائل الشيطان ، ويعلموا أن ضعف المرأة قد جبره اللّه تعالى بالرجال بأن جعل لهم القوامة عليهن : ﴿ الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاء بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ ﴾ [النساء : ٣٤] .

فاللّهَ اللّهَ في شرعه نلتزمه ، واللّهَ اللّهَ في دينه ، نعمل به ، فالذي أنزل القرآن هو الذي خلق الإنسان ، وأن المرأة المتبرجة التي كشفت شعرها وزينت وجهها وضيقت ثيابها قد دعت الناس إلى سوء الظن بها ، وأن كل قول لتبرير ذلك إنما هو من حيل الشيطان ووساوسه التي لا تنفع ؛ لأن الخالق هو سبحانه الشارع أنزل القرآن وخلق الإنسان .

لعلي بهذه الكلمات أن أكون قد أرشدت السائل أعانه اللّه ونبهت بقية الناس ليلزموا نساءهم شرع اللّه ولا يستهويهم السفهاء والعلمانيون وأهل الغرور والفجور مهما حسن كلامهم ولا ينخدعوا بمعسول أقوالهم .

وأذكر بقول اللّه تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاء ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاء وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ۞ وَأَوْفُواْ بِعَهْدِ اللّهِ إِذَا عَاهَدتُّمْ وَلاَ تَنقُضُواْ الأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلاً إِنَّ اللّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴾ [النحل : ٩٠، ٩١] .

وبقوله تعالى : ﴿ يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِي سَوْءَاتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ۞ يَا بَنِي آدَمَ لاَ يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ الْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَاتِهِمَا إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لاَ تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاء لِلَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ ﴾ [الأعراف : ٢٦- ٢٧] .

واللّه من وراء القصد .

وكتبه / محمد صفوت نور الدين

أسئلة القراء عن الأحاديث

يجيب عليها :
فضيلة الشيخ / أبو إسحاق الحويني

● يسأل القارئ : ممدوح حسنين أبو رواش - مدينة المنصورة - محافظة الدقهلية - عن درجة هذين الحديثين :

١- « من أدرك ركعتين من العصر قبل أن تغرب الشمس فقد أدرك » ؟

○ والجواب : **الحديث منكر بهذا اللفظ** .

أخرجه الطبراني في « الأوسط » (٨١٢٥) ، قال : حدثنا موسى بن هارون ، نا منصور بن أبي مزاحم ، نا يزيد بن يوسف ، عن الزبيدي ، عن الزهري ، عن الأعرج ، عن أبي هريرة مرفوعًا : « من صلى ركعةً من صلاة الصبح قبل أن تطلع الشمس ، وركعة إذا طلعت ، فقد أدرك الصلاة ، ومن أدرك ركعتين من صلاة العصر قبل أن تغيب الشمس ، وركعتين بعد أن تغرب فقد أدركها - يعني : العصر » .

قال الطبراني : (لم يروِ هذا الحديث عن الزهري إلاَّ الزبيدي ، ولا عن الزبيدي إلا يزيد بن يوسف ، تفرد به : منصور بن أبي مزاحم) .

● قُلْتُ : ويزيد بن يوسف تركه النسائي ، وقال ابن معينٍ : (ليس بثقةٍ ، لا يساوي شيئًا) . وقال صالح جزرة : (تركوه) . وقال ابنُ عدي : (مع ضعفه يكتب حديثه) . وقال الدارقطني : (لا يستحق عندي الترك) . وهو شبه المتروك ، وقد تفرَّد عن الزبيدي بهذا اللفظ المنكر ، وقد رواه جماعةٌ عن أبي هريرة منهم الأعرج كلهم يقول : « ومن أدرك ركعة من العصر » . ولم يقل واحد منهم ولم أره في حديث غير حديث أبي هريرة بلفظ : « ركعتين » . والله أعلم .

٢- « من لم يسأل الله يغضب عليه » ؟

● الجواب : **حديث ضعيف** .

فأخرجه الترمذي (٣٣٧٣) ، والبخاري في « الأدب المفرد » (١١٤/٢) عن حاتم بن إسماعيل ، وابن ماجه (٣٨٢٧) ، وأحمد (٤٤٣/٢، ٤٧٧) ، وابن أبي شيبة (٢٠٠/١٠) ، والبزار في « مسنده » (ج٢/ ق٢/٢٣٢) ، وابن عدي في « الكامل » (٢٧٥٠/٧) ، والبغوي في « شرح السنة » (١٨٨/٥) ، وفي « تفسيره » (١٠٣/٤) ، عن وكيع . والبخاري في « الأدب المفرد » (٦٥٨) ، والحاكم (٤٩١/١) ، وأحمد (٤٤٢/٢) ، ومن طريقه ابن بشران في « الأمالي » (ج٢٢/ ق٢/٢٤٤)

عن مروان بن معاوية ، والبزار (٢/٢٣٢/٢) ، والحاكم (٤٩١/١) ، وعنه البيهقي في « الدعوات » (٢٢) ، والطبراني في « الأوسط » (٢٤٣١) ، ومن طريقه المزي في « التهذيب » (٤١٨/٣٣) ، والرامهرمزي في « المحدث الفاصل » (ص٢٩٠) ، عن أبي عاصم النبيل ، والرامهرمزي أيضًا عن صفوان بن عيسى ؛ خمستهم عن أبي المليح ، عن أبي صالح الخوزي ، عن أبي هريرة مرفوعًا به . قال الترمذي : (لا نعرفه إلا من هذا الوجه) . وقال الطبراني : (لم يرو هذا الحديث عن أبي صالح إلا أبو المليح) . وقال ابن عدي : (وهذا يُعرف بأبي صالحٍ هذا) . وقال الحاكم : (هذا حديث صحيحُ الإسناد ، فإن أبا صالح الخوزي وأبا المليح الفارسي لم يذكرا بالجرح ، إنما هما في عداد المجهولين لقلة الحديث) . اهـ .

● قُلتُ : فإن كانا في عداد المجاهيل ، فكيف يصحح إسناد حديثهما ؟ وأخشى أن يكون مذهب الحاكم كمذهب ابن حبان ؛ أن العدل من لم يعرف منه جرح ، ولو سلَّمنا ذلك ، فإن أبا صالح الخوزي عُرف بالجرح ، فقد ضعفه ابنُ معين ومشاه أبو زرعة الرازي ، فقال : (لا بأس به) . وقال الحافظ في « الفتح » (٩٥/١١) : (مختلفٌ فيه) . وقد تفرَّد به كما قال هؤلاء الحفاظ ، فمثله لا يحتمل منه التفرد ، فإسناد حديثه ضعيف ، أما ابنُ كثير ، رحمه اللَّه ، فقال في « تفسيره » (١٤٣/٧) : (وهذا إسنادٌ لا بأس به) . وقد عرفناك ما فيه من البأس ، واللَّه أعلم .

● ويسأل القارئ : فكري شرف الدين محفوظ - منيا القمح - محافظة الشرقية - عن درجة هذين الحديثين :

١- « ليس منا من خبب امرأة على زوجها » ، وما معناه ؟

○ الجواب : **حديث صحيح** .

وقد ورد من حديث أبي هريرة ، وبريدة ، وابن عمر ، وابن عباس ، رضي اللَّه عنهم :

أولاً : حديث أبي هريرة ، رضي اللَّه عنه ، مرفوعًا : « من خبب عبدًا على أهله فليس منا ، ومن أفسد امرأة على زوجها فليس منا » . أخرجه النسائي في « العشرة » (٣٣٢) ، واللفظ له ، وأبو داود (٢١٧٥) ، وأحمد (٣٩٧/٢) ، والبخاري في « التاريخ » (٣٩٦/١/١) ، وإسحاق بن راهويه (١٣٤) ، وابن الأعرابي في « معجمه » (٧٩٨) ، والبزار في « مسنده » (ج٢/ ق٢٤٥/٢- ٢٤٦/١) ، وابن حبان (١٣١٩) ، والحاكم (١٩٦/٢) ، والبيهقي في « الآداب » (٨٠) ، والخطيب في « تاريخه » (٢٨٦/٤) ، وفي « موضح الأوهام » (٣٧٦/٢) ، من طرقٍ عن عمار بن رزيق ، عن عبد اللَّه بن عيسى ، عن عكرمة بن خالد ، عن يحيى بن يعمر ، عن أبي هريرة . قال البزار : (وهذا الحديث لا نعلمه يروى عن أبي هريرة إلا بهذا الإسناد ، وقد روي عن بريدة عن النبي ﷺ ، وهذا الإسناد أحسن من إسناد بريدة) .

وقال الحاكم : (صحيح على شرط البخاري) ، وليس كما قال ، فإن عمار بن رزيق لم يخرج له البخاري شيئًا ، وإن كان الإسناد صحيحًا ، أمَّا قول البزار : إنه لم يرو عن أبي هريرة إلا بهذا الإسناد ، فإنه متعقبٌ بما أخرجه أبو أحمد الحاكم في « كتاب الكنى » (ج١٥/ ق٢٥٤/٢- ٢٥٥/١) ، وابنُ عدي في « الكامل » (٢٥٨٩/٧) ، والخطيبُ في « تاريخه » (١٢٣/١١، ١٢٤) من طريق هارون بن محمد الشيباني عن يحيى بن سعيد ، عن سعيد بن المسيب ، عن أبي هريرة

مرفوعًا : « من خبب امرأة على زوجها فليس منا » . وهارون بن محمد كذبه ابن معين . وقال ابن عدي : (وهارون ليس بمعروف ، ومقدار ما يرويه ليس بمحفوظ) . وقال أبو أحمد الحاكم : (هو حديث منكرٌ من حديث يحيى) .

ثانيًا : حديث بريدة بن الحصيب ، رضي اللّه عنه ، مرفوعًا : « ليس منا من حلف بالأمانة ، وليس منا من خبب امرأةً أو مملوكًا » . أخرجه أحمد (٣٥٢/٥) ، وابن حبان (١٣١٨) من طريق هناد بن السري قالا : حدثنا وكيع . والبزار (١٥٠٠- كشف الأستار) ، والحاكم (٢٩٨/٤) من طريق عبد اللّه بن داود ، وأبو الحسن الخلعي في « الخلعيات » (ق٧٥/٢) عن زهير بن معاوية ، والبرجلاني في « الكرم والجود » (٩٦) عن محمد بن ربيعة الكلابي ، والخطيب في « تاريخه » (٣٥/١٤) ، عن مندل بن علي ؛ خمستهم عن الوليد بن ثعلبة ، عن عبد اللّه بن بريدة ، عن أبيه مرفوعًا .

وأخرج منه أبو داود في « سننه » (٣٢٥٣) الشطر الأول من طريق زهير بن معاوية عن الوليد .

قال الحاكم : (صحيح الإسناد) . ووافقه الذهبي ، وكذلك صحح إسناده المنذري في « الترغيب » (٨٢/٣) . وقال الهيثمي في « المجمع » (٣٣٢/٤) : (رجال أحمد رجال الصحيح ، خلا الوليد بن ثعلبة ، وهو ثقةٌ) . اهـ .

ثالثًا : حديث ابن عمر ، رضي اللّه عنهما : « من لبس الحرير أو شرب من فضةٍ فليس منا ، ومن خبب امرأةً على زوجها أو عبدًا على مواليه ، فليس منا » .

أخرجه الخطيب في « تاريخه » (٥٤/١١، ٥٥) من طريق سليمان بن أحمد الطبراني ، وهو في « المعجم الأوسط » (٨٠٢٢) ، وفي « المعجم الكبير » (٢٤٨/١) من طريق محمد بن عبد اللّه الرزي ، ثنا أبو تميلة ، عن أبي طيبة ، ثنا أبو مجلز ، عن ابن عمر به . قال الطبراني : (لا يروى هذا الحديث عن ابن عمر إلا بهذا الإسناد ، تفرد به أبو تميلة) .

● قُلْتُ : وأبو تميلة اسمه يحيى بن واضح ، وهو ثقةٌ ، ولكن أبدى الهيثمي في « المجمع » (٣٣٢/٤) لهذا الإسناد علّة ، فقال : (فيه محمد بن عبد اللّه الرزي ولم أعرفه ، وبقية رجاله وثقوا) . كذا قال ! ومحمد بن عبد اللّه ثقة معروفٌ من رجال مسلم ، ولم يتفرد به ، فتابعه سعيد بن محمد الجرمي ، ثنا أبو تميلة بسنده سواء ، دون قوله : « من لبس الحرير .. إلخ » . أخرجه الخرائطي في « مساوئ الأخلاق » (٥٠٣) قال : حدثنا العباس بن محمد الدوري ، ثنا سعيد بن محمد .

وهذا الإسناد لا بأس به ، وأبو طيبة اسمه عبد اللّه بن مسلم السلمي ، وفي حفظه مقالٌ .

رابعًا : حديث ابن عباس ، رضي اللّه عنهما ، مرفوعًا : « ليس منا من خبب امرأة على زوجها ، وليس منا من خبب عبدًا على سيده » . أخرجه الطبراني في « الأوسط » (١٨٠٣) من طريق علي بن هاشم ، ثنا عثمان بن مطر الشيباني ، عن معمر بن راشد ، عن ابن طاووس ، عن أبيه ، عن ابن عباس به ، وقال : (لم يرو هذا الحديث عن ابن طاووس إلا معمر ، ولا عن معمر إلا عثمانُ ، تفرد به عليٌّ) . اهـ . وعثمان بن مطر ضعيف ، وقد خالفه عبد الرزاق ، فرواه في « المصنف » (ج١١/ رقم ٢٠٩٩٤) عن معمر ، عمن سمع عكرمة أن النبي ﷺ قال . فذكره مرسلاً .

وقد اختلف عن عكرمة . فرواه إسحاق بن جابر ، عن عكرمة ، عن ابن عباس مرفوعًا : « ليس منا من خبب عبدًا على سيده ، وليس منا من

أفسد امرأة على زوجها ، وليس منا من أجلب على الخيل يوم الرهان » . أخرجه الضياء في « المختارة » (ج٦٤/ ق١/٣٥٨) من طريق أبي يعلى ، وهذا في « مسنده » (ج٤/ رقم ٢٤١٣) قال : حدثنا مصعب بن عبد الله بن مصعب ، قال : حدثني الدراوردي عن ثور بن زيد ، عن إسحاق بن جابر . وأخرجه البخاري في « التاريخ الكبير » (١/١/٣٩٥، ٣٩٦) من طريق حسين بن حريث عن الدراوردي ، ثم أخرجه البخاري أيضًا من طريق أبي ثابت ، حدثنا الدراوردي ، عن ثور بن زيد ، عن إسحاق بن جابر ، عن عكرمة ، عن النبي ﷺ مرسلاً ، وإسحاق بن جابر ترجمه البخاري وابن أبي حاتم في « الجرح والتعديل » ، ولم يذكرا فيه جرحًا ولا تعديلاً ، وقد خالفه عبد الله بن عيسى ، فرواه عن عكرمة ، عن يحيى بن يعمر ، عن أبي هريرة مرفوعًا ، وقد مرَّ ذكره في « حديث أبي هريرة » ، وهذا الوجه أولى . وجملة القول أن الحديث صحيح . ومعنى « خبب » يعني : أفسد وخدع . والله أعلم .

٢- « مثل الذي يسمع الحكمة ولا يعمل إلا بشرها كمثل رجلٍ أتى راعيًا فقال : احزرني شاة من غنمك . قال : اذهب فخذ بأذن خير شاة ، فذهب فأخذ بأذن كلب الغنم » ؟

○ الجواب : **هذا حديث ضعيف** .

أخرجه ابن ماجه (٤١٧٢) عن الحسن بن موسى ، وابنُ القطان في « زوائده عن سنن ابن ماجه » ، عن موسى بن إسماعيل التبوذكي ، وأحمد في « المسند » (٢/٣٥٣، ٤٠٥، ٥٠٨) ، حدثنا عفان بن مسلم ويزيد بن هارون ، والطيالسي في « مسنده » (٢٥٦٣) ، وأبو يعلى (ج١١/ رقم ٦٣٨٨) ، وابنُ عدي في « الكامل » (٥/١٨٤٣) ، وأبو الشيخ في « الأمثال » (٢٩١) ، والرامهرمزي في « الأمثال » (٥٨) ، أربعتهم عن عبد الأعلى بن حماد . والرامهرمزي أيضًا (٥٧) ، عن سليمان بن حرب ، والبزار في « مسنده » (ج٢/ق ٢/٢٤٧) عن عبد الصمد بن عبد الوارث ، ثمانيهم ، عن حماد بن سلمة عن علي بن زيد بن جدعان ، عن أوس بن خالد ، عن أبي هريرة مرفوعًا . ولفظ الطيالسي مختصرٌ . قال البزار : (وهذا الحديث لا نعلم روى كلامه عن النبي ﷺ إلا أبو هريرة) .

وأخرجه البيهقي في « الشعب » (ج٤/ رقم ١٥٩٣، ١٦٥٠) من طريق حجاج بن منهال وسليمان بن حرب ، ثنا حماد بن سلمة بسنده سواء . وعزاه السخاوي في « المقاصد الحسنة » (ص ٣٧٦) لأحمد بن منيع والعسكري في « الأمثال » .

● قُلتُ : وهذا سندٌ ضعيفٌ ؛ لضعف علي بن زيد بن جدعان ، وإن كانت رواية حماد بن سلمة عنه أمثل من رواية غيره ، وبه ضعَّف البوصيري الحديث في « مصباح الزجاجة » (٣/٢٨٦) ، وقد أورده ابنُ عدي في « الكامل » مستنكرًا إياه على « علي بن زيد » ، وأوس بن خالد . قال البخاري : (لا يروي عنه إلا علي بن زيد ، وعليٌّ فيه بعض النظر) . وقال ابنُ القطان : (له عن أبي هريرة ثلاثة أحاديث منكرة ، وليس له كبير شيء) . وفرَّق الذهبي بينه وبين أوس بن أبي أوس ، فقال في هذا : (لا يعرف) ، وهما واحدٌ . والله أعلم .

والحمد لله رب العالمين .

باب الفتاوى باب الفتاوى
باب الفتاوى باب الفتاوى
باب الفتاوى باب الفتاوى
باب الفتاوى باب الفتاوى
باب الفتاوى باب الفتاوى
باب الفتاوى باب الفتاوى
باب الفتاوى باب الفتاوى
باب الفتاوى باب الفتاوى
باب الفتاوى باب الفتاوى
باب الفتاوى باب الفتاوى

باب الفتاوى

إعداد لجنة الفتوى بالمركز العام

رئيس اللجنة

محمد صفوت نور الدين

أعضاء اللجنة

صفوت الشوادفي

د. جمال المراكبي

لا يجوز الحج إلا بمال حلال !!

● يسأل : ربيع مصطفى - مسجد عمر بن عبد العزيز - بلقاس - دقهلية :

عن حكم تقاضي الرشوة والحج من هذا المال الذي أخذه رشوة ؟

○ والجواب : الرشوة مال يعطى لإبطال حق ، أو إحقاق باطل - الراشي من يعطي الذي يعينه على الباطل ، والمرتشي الآخذ ، والرائش : الذي يسعى بينهما يستزيد لهذا ويستنقص لهذا - والرشوة تسمى بالبرطيل ، وفي المثل : (البراطيل تنصر الأباطيل) ، وفي المثل : (من صانع بالمال لم يحتشم من طلب الحاجة) .

وسماها بعض الفقهاء سحتًا ، لكن السحت أعم من الرشوة ؛ لأن السحت كل حرام لا يحل كسبه ، وقد يخلط بعضهم بين الرشوة والهدية ، فالهدية تكون بين الأقران ، والراشي يقصد إبطال حق أو تحقيق باطل ، والمهدي يستجلب مودة وإحسانًا ، ويخلط بعضهم بين الرشوة والصدقة ، والصدقة تدفع طلبًا لوجه اللَّه تعالى ، في حين أن الرشوة تدفع لنيل غرض دنيوي عاجل .

حكم الرشوة : والرشوة حرام من الكبائر ، لقوله تعالى : ﴿ سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّالُونَ لِلسُّحْتِ ﴾ [المائدة : ٤١] .

وقوله تعالى : ﴿ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة : ١٨٨] ، ولحديث أحمد والترمذي عن ثوبان مرفوعًا : لعن رسول اللَّه ﷺ الراشي ، والمرتشي ، والرائش .

ويحرم طلب الرشوة وبذلها وقبولها والواسطة فيها ، إلا أن جمهور العلماء أجازوا دفع الرشوة للحصول على حق أو دفع ظلم أو ضرر ، ويكون الإثم على المرتشي دون الراشي ، بشرط ألا تكون الحاجة يسيرة نحو تمرة وخبزة ، وذلك لأن الرشوة عصيان لا مفسدة فيها ، والغصب وجحد الحقوق عصيان ومفسدة ، وتجويزها على المعطي دون الآخذ لها ؛ لأنها درء مفسدة أعظم بارتكاب مفسدة أدنى مثل فداء الأسير ، فإن أخذ الكفار لأموال المسلمين حرام فيه مفسدة إضاعة المال ، فما لا مفسدة فيه أولى بالجواز . راجع تفسير القرطبي عند الآية (٤٢) من سورة المائدة .

ولا يجوز دفع الرشوة لتقلد منصب قضاء أو إمارة ولا يأخذ القاضي رشوة ولو ليحكم بالعدل ؛ لأنه واجبه ، وفي نفوذ حكم القاضي المرتشي والسلطان خلاف

مبسوط في كتب الفقه ، فراجع «الموسوعة الفقهية» مادة (رشوة) . وراجع كتاب «نضرة النعيم» (ج٠٤، ص٤٥٤٢، ٤٥٥٠) .

هذا ، والحاج مطلوب منه أن يختار أطيب المال لنسكه ، وإن حج منه فعليه الإثم في ذلك ، وإن كان ذلك لا يمنع صحة الأداء للفريضة ، بمعنى سقوطها عنه ، فلا يطلب منه أداء الفريضة ، إنما عليه رد الأموال لأصحابها أو استحلالهم منها ، والله أعلم .

الصلاة صحيحة ولو ترك سجود السهو

● يسأل القارئ : سعد إبراهيم بسطويسي - دمنهور :

عن إمام سها في الصلاة فجلس للتشهد في العشاء ، فلما ذكره المأمومون قام فأتى بالرابعة ولم يسجد للسهو ، فما حكم الصلاة ؟

○ والجواب : أن الصلاة صحيحة ، ولو ترك سجود السهو .

إذا دخل الرجل المسجد فلا يجلس حتى يصلي ركعتين

● ويسأل : صبري محمود إسحاق - قنا :

عن رجل صلى سنة الفجر بالمنزل وذهب إلى المسجد للصلاة ، فهل يصلي تحية المسجد ؟

○ والجواب : أنه إذا دخل الرجل المسجد فلا يجلس حتى يصلي ركعتين ، فإن لم يكن لها مشروعية من فرض أو نفل كانت تحية لمسجد ، بمعنى أنه إن صلى نافلة كسنة الوضوء أو سنة قبلية أو صلى الفريضة في الجماعة في أول دخوله المسجد قبل الجلوس فيه سقطت بها تحية المسجد ، وإن لم يكن من ذلك شيء صلى ركعتين تحية للمسجد ، هذا كله إذا لم تقم صلاة الجماعة ، فلا ينشغل عنها بشيء ؛ وذلك لحديث أبي قتادة أن النبي ﷺ قال : «إذا دخل أحدكم المسجد فليركع ركعتين قبل أن يجلس» . رواه الجماعة ، وفي رواية عند البخاري ومسلم عن أبي قتادة قال : دخلت المسجد ورسول الله ﷺ جالس بين ظهراني الناس ، قال : فجلست ، فقال رسول الله ﷺ : «ما منعك أن تركع ركعتين قبل أن تجلس ؟» قال : فقلت : يا رسول الله ، رأيتك جالسًا والناس جلوس ، قال : «فإذا دخل أحدكم المسجد فلا يجلس حتى يركع ركعتين» .

ولحديث مسلم وأصحاب السنن ، عن أبي هريرة ، رضي الله عنه ، أن رسول الله ﷺ قال : «إذا أقيمت الصلاة فلا صلاة إلا المكتوبة» .

نظرية دارون ضرب من التخمين الباطل

ويسأل : الأخ وديع أحمد فتحي - الدلنجات - بحيرة :

هل توافق نظرية دارون آيات القرآن في أن الإنسان كان قردًا منحني الظهر ثم عدله الله ؟

○ والجواب : أن هذا الكلام في نظرية دارون وأمثالها إنما هو ضرب من التخمين الباطل والقول بغير علم ، ومثل هذه النظرية قد ماتت عند أهل العلوم العقلية والتجريبية منذ وقت طويل ، وجاءت نظريات أخرى ثم ماتت كذلك ، وذلك مصير كل قول بغير علم من الله ورسوله .

هذا ، والله سبحانه يقول : ﴿ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِن طِينٍ ۝ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ﴾ [ص : ٧١، ٧٢] ، وهذا يفهم منه ومن سائر نصوص القرآن أن الله سوى آدم وخلقه بيده وعدله ، فلا يجوز أن نقول : إنه كان منحني الظهر ، أو كان قردًا أو خلقه الله من حيوان آخر ، ولحديث : «خلق الله آدم على صورته» . فهذه هي صورة آدم التي خلق عليها فلم يتسلسل من صور أخرى ، والله أعلم .

فتاوى في بعض مسائل الحج

يجيب عليها

فضيلة الشيخ / محمد بن صالح العثيمين

عضو هيئة كبار العلماء بالمملكة العربية السعودية

لا حرج على تلك المرأة أن تسافر ثم ترجع إذا طهرت فتطوف !!

● س١ : *امرأة حاضت ولم تطف طواف الإفاضةِ وتسكن خارجَ المملكة السعودية ، وحان وقتُ مغادرتها المملكة السعودية ، ولا تستطيعُ التأخَر ، ويستحيلُ عودتها المملكة مرةً أخرى ، فما الحكم ؟*

○ ج١ : إذا كان الأمرُ كما ذُكر ، امرأةٌ لم تطف طوافَ الإفاضةِ ، وحاضت ويتعذّر أن تبقى في مكة أو أن ترجع إليها لو سافرتْ قبلَ أن تطوف ، ففي هذه الحالِ يجوزُ لها أن تستعملَ واحدًا من أمرين : فإما أن تستعملَ إبرًا توقفُ هذا الدم وتطوفُ ، وإما أنْ تتلجّم بلجام يمنعُ من سيلانِ الدم إلى المسجدِ ، وتطوف للضرورة ، وهذا القولُ الذي ذكرناه هو القولُ الراجحُ ، والذي اختارَه شيخُ الإسلام ابن تيمية ، وخلافُ ذلك واحدٌ من أمرين ؛ إما أن تبقى على ما بقي من إحرامِها ، بحيث لا تُحل لزوجها ، وإما أن تُعتبر مُحصَرة تذبحُ هديًا وتحلُّ من إحرامها .

وفي هذه الحال لا تُعتَبَر هذه الحجّةُ حجًا ؛ لأنها لم تكملها ، وكلا الأمرين صَعْبٌ ، الأمرُ الأولُ وهو بقاؤها على ما بقي من إحرامها ، والأمر الثاني الذي يُفَوّت عليها حجَّها ، فكان القولُ الراجحُ هو ما ذهب إليه شيخُ الإسلام ابن تيمية ، رحمه اللّه ، في مثل هذه الحال للضرورةِ ، وقد قال اللّه تعالى : ﴿ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ﴾ [الحج : ٧٨] ، وقال : ﴿ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ ﴾ [البقرة : ١٨٥] .

أما إذا كانت المرأةُ يُمكنُها أن تسافرَ ، ثم ترجعَ إذا طَهُرت ، فلا حَرَج عليها أن تُسافرَ ، فإذا طَهُرت رَجَعَت فطافت طوافَ الحجَ .

وفي هذه المدّة لا تحل لزوجها ؛ لأنها لم تحلَّ التحللَ الثاني .

الأفضل أن يكون السعي مواليًا للطواف

● س٢ : *إذا طاف مَنْ عليه سعيٌ ، ثم خرج ولم يَسْعَ ، وأُخبر بعد خمسةِ أيام بأنّ عليه سعيًا ، فهل يجوزُ أن يسعى فقط ولا يطوفُ قبله ؟*

○ ج٢ : إذا طاف الإنسانُ معتقدًا أنه لا سعي عليه ثم خرج ، ثم بعد ذلك بأيام أُخبر بأنَ عليه سعيًا ، فإنّه يأتي للسعي فقط ، ولا حاجةَ إلى إعادةِ الطوافِ ، وذلك لأنه لا يُشترطُ الموالاةُ بين الطوافِ

والسعي ، حتى لو فُرض أنّ الرجلَ ترك ذلك عمدًا ، أي أخّر السعي عن الطواف عَمْدًا ، فلا حَرَجَ عليه ، ولكنّ الأفضل أن يكون السعيُ مُواليًا للطواف .

عليك القيام بذبح فدية في مكة

● *س٣ : حاجٌ قَدِمَ مُتمتعًا ، فلما طاف وسعى لَبِسَ ملابِسَه العاديَة ، ولم يُقَصِّر أو يحلق ، وسأل بعد الحجِّ وأُخبِر أنه أخطأ ، فكيف يفعلُ وقد ذهب الحجُّ بعد وقتِ العمرةِ ؟*

○ ج٣ : هذا الرجلُ يُعتبر تاركًا لواجبٍ من واجباتِ العمرة ، وهو التقصيرُ ، وعليه عند أهل العلم أن يذبحَ فديةً في مكة ويُوزعها على فقراء مكة وهو باقٍ على تمتُّعه فيلزمه هدي التمتع أيضًا .

لا يلزمك إعادة الرمي

● *س٤ : حاجٌ رمى جمرة العقبة من جهة الشرق ، ولم يسقطْ الحجرُ في الحوضِ ، فما العمل وهو في اليوم الثالثَ عشر ، وهل يلزمه إعادة الرمي في أيام التشريق ؟*

○ ج٤ : لا يلزمُه إعادةُ الرمي كلّه ، وإنما يلزمه إعادةُ الرمي الذي أخطأ فيه فقط ، وعلى هذا يعيد رمي جمرةِ العقبة فقط ، ويَرْميها على الصوابِ ، ولا يجزئهُ الرَّميُ الذي رماهُ من جهة الشرق ؛ لأنه في هذه الحال لا يسقطُ في الحوض الذي هو موضعُ الرمي ، ولهذا لو رماها من الجسر من الناحيةِ الشرقية أجزأ ؛ لأنه يسقطُ في الحوض .

لا ترمي ليلاً إلا عند الحاجة

● *س٥ : متى ينتهي رميُ جمرةِ العقبة أداءً ؟ ومتى ينتهي قضاءً ؟*

○ ج٥ : أما رميُ جمرةِ العقبة يومَ العيد فإنه ينتهي بطلوع الفجرِ من اليوم الحادي عشر ، ويبتدئُ من آخرِ الليل من ليلةِ النحرِ للضُّعفاء ونحوهم من الذين لا يستطيعونَ مزاحمةَ الناسِ ، وأمّا رميُها في أيام التشريق فهي كرمي الجمرتين اللّتين معها ، يبتدئُ الرمي من الزوال ، وينتهي بطلوع الفجر من الليلة التي تلي اليوم ، إلا إذا كان في آخر أيام التشريق ، فإن الليل لا رمي فيه ، وهو ليلةُ الرابعَ عشر ؛ لأن أيام التشريقِ انتهت بغروب شمسها ، والرمي في النهار أفضل ، إلا أنه في هذه الأوقات مع كثرة الحجيج وغَشَمِهِم ، وعدم مبالاة بعضهم ببعضٍ إذا خاف على نفسه من الهلاك أو الضرر أو المشقة الشديدة ، فإنه يرمي ليلاً ولا حَرَجَ عليه ، كما أنه لو رمى ليلاً بدون أن يخافَ هذا ، فلا حَرَجَ عليه ، ولكن الأفضل أن يُراعي الاحتياط ، ولا يَرْمي ليلاً إلا عند الحاجة إليه .

وأما قوله : قضاءً ؛ فإنها تكونُ قضاءً إذا طلع الفجرُ من اليوم التالي في أيام التشريق ولم يَرْمِها .

يعتبر متعجلاً ؛ لأنه أنهى الحج !!

● س٦ : *إذا خرج الحاجُ من منى قبلَ غروب الشمس يومَ الثاني عَشر بنية التعجُل ، ولديه عملٌ في منى سيعودُ له بعد الغروب ، فهل يُعتبر مُتعجلاً ؟*

○ ج٦ : نعم ، يُعتبر متعجلاً ؛ لأنه أنهى الحجَّ ، ونية رجوعه إلى مِنى لعمله فيها لا يمنعُ التعجُل ؛ لأنه إنما نوى الرجوعَ للعملِ المنوطِ به لا للنسك .

يذبح هديًا في مكان الإحصار ويحلّ !!

● س٧ : *من أحرم بالحج من الميقات ، ثم سار إلى أنْ قرب من مكة فمنعه مركزُ التفتيش ؛ لأنه لم يحملْ بطاقة الحج ، فما الحُكْمُ ؟*

○ ج٧ : الحُكْمُ في هذه الحال أنه يكون محصرًا حين تعذَّر عليه الدخول ، فيذبح هَديًا في مكانِ الإحصار ، ويحلّ ، ثم إن كانت هذه الحَجةُ هي الفريضة ، أدّاها فيما بعدُ بالخطاب الأول لا قضاءً ، وإن كانت غَيرَ الفريضةِ فإنه لا شيء عليه ، على القول الراجح ؛ لأن النبي ﷺ لم يأمر الذين أحصروا في غزوة الحديبية أن يقضُوا تلك العمرة التي أُحصِرُوا عنها ، وليس في كتاب الله ، ولا في سنة رسوله ﷺ وجوبُ القضاء على من أُحصرَ ؛ قال تعالى : ﴿ فإنْ أُحصِرتُم فما استَيسَرَ مِنَ الهَدْيِ ﴾ [البقرة : ١٩٦] ، ولم يذكر شيئًا سوى ذلك .

وعمرةُ القضاء سُميت بذلك ؛ لأن النبي ﷺ قاضى قريشًا ؛ أي عاهدهم عليها ، وليس من القضاء الذي هو استدراكُ ما فات ، والله أعلم .

● س٨ : *إذا قدِمَ المسلم إلى مكة قبل أشهر الحج بنية الحج ، ثم اعتمر وبقي إلى الحجّ فحج ، فهل حجُّه يُعتبر تمتُّعًا أم إفرادًا .*

○ ج٨ : حَجُّهُ يعتبر إفرادًا ؛ لأن التمتع هو أن يُحْرِمَ بالعمرة في أشهر الحج ، ويفرغَ منها ، ثم يُحرم بالحج من عامِه .

وأما من أحرمَ بالعُمرةِ قبلَ أشهرِ الحج وبقي في مكةَ حتى حجٍ ، فإنه يكونُ مُفردًا ، إلا إذا قَرَنَ ، بأن يحرم بالحج والعمرةَ جميعًا ، فيكون قارنًا ، وإنما اختصَّ التمتعُ بمن أحرمَ بالعمرةِ في أشهر الحج ؛ لأنه لما دخلت أشهرُ الحج كان الإحرامُ بالحج فيها أخصَّ من الإحرام بالعمرة ، فخفف الله تعالى عن العباد ، وأذِنَ لهم ، بل أحبَّ أن يجعلوا عُمرةَ ليتمتعوا بها إلى الحج .

هؤلاء لا شيء عليهم لأنهم أدركوا صلاة الفجر في مزدلفة

● س٩ : *حملةٌ خرَجَتْ من عرفة بعد الغروب ، فضلُّوا الطريق ، فتوجهوا إلى مكة ، ثم ردَّتهم الشرطةُ إلى مُزدلفة ، فلما أقبلوا عليها توقفوا ، وصلوا المغرب والعشاء في الساعة الواحدة ليلاً ، ثم دخلوا المزدلفة أذانَ الفجر ، فصلُّوا فيها الفجر ، ثم خرَجُوا ، فهل عليهم شيءٌ في ذلك أمْ لا ؟*

○ ج٩ : هؤلاء لا شيء عليهم ؛ لأنهم أدركوا صلاة الفجر في مزدلفة حين دخلوا وقت أذان الفجر ، وصلوا الفجر فيها بغَلَسٍ ، وقد ثبت عن

النبي ﷺ أنه قال : ((مَنْ شَهِدَ صلاتنا هذه ، ووقفَ معنا حتى نَدْفَعَ ، وقد وقف قبل ذلك بعرفةَ ليلاً أو نهارًا ، فقد تم حجُه وقضى تَفَثَه)) . ولكن هؤلاء أخطئوا حين أخَروا الصلاة إلى ما بعد مُنتصفِ الليل ؛ لأن وقت صلاةِ العِشاء إلى نصف الليل ، كما ثبت ذلك في ((صحيح مسلم)) من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص ، عن النبي ﷺ فلا يحلُ تأخيرها عن منتصف الليل .

يجوز البدء بالحلق !!

● س١٠ : *معلومٌ أن حَلْقَ الرأس من محظوراتِ الإحرام ، فكيفَ يجوزُ البدءُ به في التحلُّل يومَ العيد ؛ لأن العلماءَ يقولون : إن التحلُّل بفعل اثنين من ثلاث ، ويذكرون منها الحلق ، وعلى هذا فإن الحاجَّ يجوز أن يبدأ به ؟*

○ ج١٠ : نعم يجوزُ البدء به ؛ لأن حلقه عند الإحلال للنُسُك ، فيكون غير مُحرِمٍ ، بل يكون نُسُكًا مأمورًا به ، وإذا كان مأمورًا به فإن فعله لا يُعَدُّ إثمًا ولا وقوعًا في محظور .

وقد ثبت عن النبي ﷺ أنه سُئل عن الحلْقِ قبل النحر وقبل الرمي ، فقال : ((لا حَرَجَ)) .

● س١١ : *متى ينتهي زمنُ ذبحِ هدي التمتع ؟ وهل هناك خلافٌ وآراءٌ في تحديد الزمن ؟*

○ ج١١ : ينتهي زمنُ الذبحِ لهدي التمتُّع بغروبِ الشمس من اليوم الثالث عشر من ذي الحجة ، ويبتدئ إذا مضى قدْرُ صلاة العيد من يوم العيد بعد ارتفاع الشمس قدر رمحٍ .

وأما : هل هناك خلافٌ ؟ فنعم فيه خلافٌ في ابتدائه وانتهائه ، ولكن الراجح ما ذكرناه ، والله أعلم .

يشترط أن يكون المبيت في منى معظم الليل

● س١٢ : *ما حُكْمُ من بات في منى إلى الساعة الثانية عشرة ليلاً ، ثم دخل مكة ولم يَعُد حتى طلوعِ الفجر ؟*

○ ج١٢ : إذا كانت الساعةُ الثانية عشرة ليلاً هي منتصف الليل في منى ، فإنه لا بأس أن يخرجَ منها بعدها .

وإن كان الأفضل أن يبقى في مِنى ليلاً ونهارًا ، وإن كانت الساعة الثانية عشرة قبل منتصف الليل فإنه لا يخرجُ ؛ لأن المبيت في مِنى يشترطُ أن يكون مُعْظَمَ الليل على ما ذكره فقهاؤنا ، رحمهم اللّه تعالى .

يبقى في ثيابه ويُكمل حلق رأسه

● س١٣ : *إذا قَصَّرَ الحاجُّ والمُعتمِرُ من جانبي رأسِه ، ثم حَلَّ إحرامُه وهو لم يُعَمِّمِ الرأس ، فما الحكمُ ؟*

○ ج١٣ : الحكمُ إن كان في الحجّ وقد طاف ورمى ، فإنه يبقى في ثيابهِ ، ويُكمل حلقَ رأسهِ أو تقصيره ، وإن كان في عُمرةٍ فعليه أن يخلعَ ثيابهُ ويعودَ إلى ثياب الإحرامِ ، ثم يحلقَ أو يُقصِّرَ تقصيرًا تامًا يعمُّ جميع الرأسِ وهو محرم ، أي وهو لابسٌ ثياب الإحرام .

والحمد لله رب العالمين .

عقائد الصوفية في ضوء الكتاب والسنة

الغلو في شأن المشايخ

بقلم عميد متقاعد :

محمود المراكبي

الحمد لله واهب النعم ، تفضل على عباده ، فهداهم إلى عقيدة التوحيد ، وبعث إليهم رسله وأنبياءه ليبينوا للناس ما نزل إليهم ، واصطفى من بني آدم محمداً ﷺ ، وجعله رحمة للعالمين ، وأتم به الرسالة ، وختم به الدين ، ونشهد أنه بلغ الرسالة ، وجاهد في سبيله حتى أتاه اليقين ، فتركنا على المحجة البيضاء ، لا يزيغ عنها إلا هالك ، نسأل الله حسن الخاتمة وصلاح الدنيا والآخرة وبعد :

فقد تحدثنا في المقالات السابقة عن ثلاث موضوعات ، كان أولها : تتبع تطور الفكر الصوفي ، ابتداءً من الزهد والتقشف إلى الشطح والسكر والفناء ذلك المقام الصوفي المبتكر الذي مهد لظهور الموضوع الثاني ، ألا وهو وحدة الوجود ، وقد تتبعنا فيما سبق بيانه مراحل هذه النظرية المبتدعة في الإسلام والقديمة عند الهنود وعقائدهم القديمة ، واستكمالاً لهذا الموضوع وضعنا تحت الدراسة وعلى ضوء من الكتاب والسنة أوراد حوالي عشرين طريقة صوفية من أشهر وأكبر الطرق الصوفية في مصر ، وقد أوضحنا بتوفيق الله تعالى مواضع الغلو والزلل في هذه الأوراد ، تلك المواضع التي أوصل الصوفية فيها الرسول الخاتم إلى ما قاله النصارى في عيسى ابن مريم عليه السلام ، وبهذا تكون الصوفية قد وقعت فيما حذرنا منه سيدنا محمد ﷺ ، ولهذا ختمنا حديثنا في الموضوع الثاني ببيان شاف عن الحقيقة المحمدية عند السلف الصالح ، ثم تطرق بنا الحديث إلى مملكة الباطن ومقامات الأولياء ، وتناولنا تعريف الصوفية لمراتب الأبدال والأقطاب ومقام الغوثية ، واليوم نستكمل الحديث حول الآداب التي يفرضها مشايخ الطرق من مريديهم ، وهذا ما يؤكد ظاهرة الغلو الصوفي في المشايخ ، ولا بد لنا من توطئة بين يدي الموضوع تقارن بين غلو الشيعة وغلو الصوفية ، فنقول بحول الله وطوله :

يغالي الشيعة في أئمتهم لاعتقادهم أن طبيعة الإمام مختلفة عن طبيعة البشر ، فالناس خلقوا من طينة الأرض ، ثم نفخت فيهم الأرواح ، أما طينة الأئمة فهي طينة من كنز مكنون تحت العرش ، وأرواحهم نور من نور اللّه ، عز وجل ، لذلك جاءت أوصاف الأئمة في كتب شيعتهم بأنهم نور اللّه ووجه اللّه وما سبق الإشارة إليه ، وبالتالي فإن الاختلاف مع الشيعة اختلاف أصلي وأساسي ، حيث يتبع القوم عقيدة مختلفة في جوهرها عن حقيقة الإسلام ، وهذا ما يجعلنا لا نخوض في دراستنا هذه في أفعال الأئمة وأحوالهم ؛ لأنها في النهاية ترفعهم إلى مصاف الآلهة ، وهذا ما تؤكده طبيعتهم في مفهوم أتباعهم .

إن المتأمل في اعتقاد الصوفية في مشايخهم قد يظن - للوهلة الأولى - أن فجوة الاختلاف مع الشيعة واسعة ، أما المتأمل والدارس فيرى هذه الهوة لا تعدو أن تكون فجوة شكلية ، ونحن مضطرون إلى أن نعالج هذا

الموضوع بأسلوب مختلف عن تناولنا لعقيدة فرق الباطنية ، فالصوفية لا يزعمون أن طبيعة مشايخهم مثل طبيعة الأئمة ، بل هم يرونهم أولياء الله فقط ، ولكننا إذا تتبعنا أفعال المشايخ وأحوالهم وآداب صحبة المريد معهم ، يتبين لنا - بتوفيق الله عز وجل - أن الغلو ملة واحدة ، مهما تعددت الأهواء والطرق والنِّحَل ، ونجد الالتقاء واضحًا بين الشيعة والصوفية ، وحين جعل الصوفية من لقاء موسى والخضر ، عليهما السلام ، الحجة والدليل والبرهان ، ومن حوارهما استقوا دستور الآداب الصوفية ، وتَبَوء الخضر عليه السلام مكانة عظيمة في الفكر الصوفي فهو شيخ الصوفية الأكبر ، بل إن له دورًا مستمرًا ، فشيخ الطريقة في الظاهر نائبًا عن الخضر ، وفي الباطن هو صورة الاستمداد للعلم الباطني ، فظن كل شيخ أنه الخضر عليه السلام ، ولن يُسقي المريد من العلم الباطني مهما بلغ في السلوك إلا بواسطة استمداده من الخضر بواسطة شيخه ، لذلك يحدد أحمد بن أبي الحواري علامات المريد الصادق ، فيقول : (من علامة المريد الصادق أنه لو قال له شيخه : ادخل التنور ، دخل ، ثم إذا دخل لا يحترق ، فإن احترق فهو كاذب)[1] .

ومن هذه المفاهيم صاغ القوم آداب المريد مع شيخه :

❑ **آداب المريد مع الشيخ :**

للشيخ مكانته الكبرى في الفكر الصوفي ، ومن ثم اخترع المشايخ مجموعة من الآداب وصنفوا فيها الكتب ونظموا لها الأشعار ، ولا يكاد يخلو أي كتاب صوفي في تناول هذا الموضوع الذي استنبطوه من قصة موسى والخضر ، عليهما السلام .

يوضح أبو علي الدقاق أهمية أدب المريد مع شيخه فيقول : من علامة المريد الصادق حفظ قلب شيخه عليه ، لما هو عليه من شدة الأدب والسياسة والمحبة لشيخه ، ومن علامات الكاذب الاعتراض على شيخه ولو بقلبه ، وأجمع الأشياخ كلهم على أن عقوق الأستاذ لا توبة عنها ، فكل من صحب شيخًا واعترض عليه فقد نقض عقد الصحبة ، وخرج عن طريقته وانقطعت العلاقة بينهما ، وسنعرض فيما يلي عددًا من النصوص التي تبين حجم هذا الموضوع :

❑ **منظومات شرح الآداب :**

من أشهر العبارات التي يتناقلها الصوفية للتعبير عن قمة آداب المريد بين يدي شيخه أن يكون المريد بين يديه كالميت بين يدي الغاسل ، وأول من قال هذه العبارة هو : الشيخ عبد القادر الجيلاني ، ونص عبارته : (ينبغي على المريد أن يكون بين يدي الكتاب والسنة كالميت بين يدي الغاسل) . إلا أن المشايخ حرفوا ورفعوا الشرع ممثلاً في الكتاب والسنة واستبدلوه بالشيخ ، وانتشرت هذه العبارة بين الصوفية حتى إنها أصبحت ركنًا من أركان الآداب الصوفية .

وقد ورد في كتاب ((تحفة الإخوان في آداب الطريق)) لأحمد الدردير (٣٨) قصيدة تحث المريد على التأدب مع شيخه ، منها ما يلي :

إن كنت تقصد أن تحظى بصحبته
فاسلك على سنن طابت مساعيه
واخلص ودادك صدقًا في محبته
والزم ثرى بابه واعكف بناديه
واستغرق العمر في آداب صحبته
وحصل الدر والياقوت من فيه
وابذل قواك وبادر في أوامره
إلى الوفاق وبالغ في مراضيه
واحذر بجهدك أن تأتي ولو خطأ
ما لا يجب وباعد عن مناهيه
وكن محب محبيه وناصرهم

(١) نقلاً عن العهد الوثيق لمن أراد سلوك أحسن طريق لمحمود محمد خطاب السبكي (٦٦) .

والزم عداوة من أضحى يعاديه
واعلم يقينًا بأن الله ناصره
وإن لم يكن ناصر فالله يكفيه
وأ نزل الشيخ في أعلى منازله
واجعلــــه قبلة تعظيم وتنزيه
ولست تفعل هذا إن ظننت به
نقصًا ولا خللاً فيمـا يعانيه
واترك مرادك واستسلم له أبدا
وكـــن كميت مخلى في أياديه
وليس ينفع قطب الوقت ذا خلل
في الاعتقاد ولا من يواليه

الشيخ هنا يربي لا يعلم المريد كيف يتعامل مع الناس جميعـًا ، وإنما يعلمه كيف يتحزب لشيخه ويسالم من يسالمه ويعادي من يعاديه ، كأنها حرب السويس ، وفي نفس الوقت تتكرر عبارة وكن بين يدي الشيخ كميت بين يدي الغاسل ، حيث لا إرادة ولا حركة إلا بإذن الشيخ ، كما ورد في مجموعة أوراد مشيخة عموم السادة البيومية (ص ٢٩) نصيحة للمريد وكيف يعامل شيخه ، وتحذيره من الاعتراض ومغبته ، حيث يقول الشيخ شعرًا :

وكن عنده كالميت عند مغسل
يقلبـــه ما شاء وهو يطاع
ولا تعترض فيما جهلت من أمره
عليــه فإن الاعتراض تنازع
وسلم له فيما تراه وإن يكن
علــى غيــر مشروع مخادع
ففي قصة الخضر الكريم كفاية
بقتـــل الغـــلام والكليم يدافع
فلما أضاء الصبح عن ليل سره
وسل حسام للمحاجج قاطع
أقام له العذر الكليم وإنه
كذلك علم القوم فيه يدافع

□ الآداب في إجـــــــازة المشيخة :

عندما يرقى المريد إلى رتبة مشيخة الطريق فإن شيخه يكتب له إجازة بمشيخة الطريق ودعوة الخلق إلى طريق الحق ، وغالبـًا ما تتضمن هذه الإجازة على آداب الطريق ، ومن ذلك ما جاء في إجازة مشيخة الطريقة الخلوتية العونية العيونية ، والذي يعتبر بيانـًا أكثر تفصيلاً لما أوردناه نظمـًا عـن آداب المريد مع شيخه - نسوقها بعد إعادة ترتيبها - حيث يقولون : فأما الآداب التي تُطلب من المريد في حق شيخه فهي كثيرة جدًا ، منها :

١- أن يحسن فيه الظن في كل حال .

٢- أن لا يتجسس على أحوال الشيخ من عبادة أو عادة ، فإن في ذلك هلاكه .

٣- أن لا يذكره بخير عند أعدائه خوفًا من أن يكون وسيلة لقدحهم فيه .

٤- أن يحب من أحبه الشيخ ويكره من يكرهه .

٥- أن لا يزوره إلا على طهارة ؛ لأن حضرة الشيخ من حضرة الله .

٦- تقديمه على غيره وعدم الالتجاء إلى غيره من الصالحين ، فلا يزور وليًا من أهل العصر ولا صالحـًا إلا بإذنه ، ولا يحضر مجلس غيره إلا بإذنه ، ولا يسمع من سواه حتى يتم سقيه من ماء سر شيخه .

٧- عدم الاعتراض عليه في أي شيء فعله ، ولو كان ظاهره أنه حرام .

٨- تعظيمه وتوقيره باطنـًا وظاهرًا ؛ لأنه دليله وبه وصوله إلى المقصود ؛ لأن من سلك طريقًا بغير دليل تاه وضل ، وربما هلك مع الهالكين .

٩- أن يحفظه في غيبته كحفظه في حضرته .

١٠- أن يقدم محبته على محبة غيره ما عدا الله ورسوله ، فإن محبتهما هي المقصودة بالذات ، ومحبة الشيخ وسيلة لها .

١١- أن يلازم الورد الذي رتبه له ، فإن مدد الشيخ في ورده ، فمن تخلف عنه فقد حرم المدد ، وهيهات أن يصح في الطريق .

١٢- أن يعتقد أن كل بركة حصلت له من بركات الدنيا والآخرة من بركة شيخه .

١٣- أن يلاحظه في قلبه في جميع أموره .

١٤- أن يستمد المريد بقلبه عند شروعه في الذكر من شيخه ، وأن يرى استمداده من شيخه هو استمداد حقيقة من النبي ﷺ .

وسنعيد ترتيب هذه الآداب حسب درجة الغلو فيها ، فهي تبدأ بآداب شرعية مثل : حسن الظن ، وعدم التجسس على الناس ، ثم تتدرج إلى عدم إنكار المنكر ، ثم تخصيص الشيخ بأنه المصدر الذي يستقي منه المريد منهج العبادة وهو الورد ، إلى أن تجعل الشيخ وسيطًا بينك وبين ربك في الإمداد ، وتلقي البركات ، مع حجب السالك إلى اللّه تعالى من أسباب العلم وطرق تحصيله ومنها : تحذير المريد من لقاء الصالحين والعلماء ، وهذه نقطة حيوية في الفكر الصوفي ، وينقل عبد الوهاب الشعراني في الأنوار القدسية في معرفة قواعد وآداب الصوفية (٢: ١٢) أن الشيخ علي وفا يشرح خطورة محبة الصالحين والاستماع إليهم بقوله : لما كان الحق تعالى : ﴿ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ ﴾ [النساء : ٤٨] ، فكذلك الأشياخ لا يغفرون أن يُشرك بهم ، تخلقًا بنظر مسمى أخلاق اللّه ، عز وجل ، فإذا رأيت أيها المريد شيخك يتشوش منك إذا أشركت في محبته شيخًا آخر ، فإياك أن تسيء به الظن ، بل اشهد أن ذلك من أخلاق اللّه ، عز وجل ، الذي يقول : ﴿ إن اللّه لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ ﴾ ، ظهر على لسان وليه : ويضيف السبكي في العهد الوثيق لمن أراد سلوك أحسن طريق (ص٨٣) ما يلي :

١- أن لا يجلس المريد بحضرة الشيخ إلا كجلوسه للصلاة ، إلا لضرورة ، وليحذر من الإكثار من مجالسته ، فإن المريد ربما ذهبت حُرْمَةُ شيخه من قلبه بكثرة مجالسته له ، فيهون عليه بذلك قدره فيُحرم بركته ، وأن لا يديم النظر إلى وجهه ، فمن أدمن النظر إلى وجه شيخه فقد خلع ربقة الحياء من عنقه ، وربما حرم بركته .

٢- أن يجتهد المريد في إكرام كل من يلوذ بالشيخ ولا سيما أولاده ، إذا غاب .

٣- أن لا يتغير المريد على شيخه إذا نقّصه بين إخوانه ، أو فعل به أي فعل ؛ لأن الشيخ لا يفعل مع المريد ذلك إلا لمصلحة يَقْصُرُ عن إدراكها عقله .

٤- أن يمتثل المريد أمر شيخه إذا منعه من فعل مباح ، وإذا احتج المريد على الشيخ بأقاويل العلماء في جواز فعل المباح لم يفلح أبدًا ، وإذا تركه المريد يحتج عليه ، ولم يزجره عن ذلك ، فقد مكر به وأخرجه عن صحبته .

وتضيف النصوص السابقة إلى الآداب الصوفية تقديسًا جديدًا للشيخ ، سواء بعدم مجالسته أو النظر إليه ، وللشيخ الحق في نهي المريد عن المعروف ، وليس للمريد أن يناقشه أو يتعرف على حكمة هذا المنع ، وبهذا يتأكد أن كل شيخ يعتبر نفسه في مقام الخضر عليه السلام .

وللحديث بقية ، واللّه ولي التوفيق .

وقفات مع القصة في كتاب الله

لقاء التعارف بين يوسف عليه السلام وإخوته

بقلم الشيخ / عبد الرازق السيد عيد

الحمد لله مالك الملك ، مدبر الأمر ، يرفع القسط ويخفضه ، ينصر مظلومًا وينتقم من ظالم ، يعطي هذا ويمنع هذا يقرب هذا ويبعد هذا ، ويفرّق ويفعل في ملكه ما يشاء ، وصلاة وسلامًا على نبيه المختار ، ورسوله المبعوث إلى ما طلع عليه الليل والنهار محمد بن عبد الله المصطفى من خيرة خلقه الأبرار ، وبعد :

أخي الكريم ، وقفنا بك في لقائنا السابق من هذه القصة المباركة عند عودة الإخوة لأبيهم ، تاركين أخاهم الأكبر في مصر ، فقد أصرَّ على ألا يبرح الأرض حتى يأذن له أبوه بالرجوع إلى أرض كنعان ، أو يحكم الله له بخير ، وهو أحكم الحاكمين ، وعاد الإخوة إلى أبيهم ، وقد فقدوا « بنيامين » و« روبيل » ، ومن قبل كما علمنا يوسف عليه السلام ، « روبيل » هو الأخ الأكبر .

ولم تزد هذه المحنة « يعقوب» عليه السلام إلا صبرًا وثباتًا ، بل ضاعفت شدّة المحنة من أمله في رحمة الله وفَرَجه القريب ، ذلك أنَّه كما حكى الله عنه : ﴿ وَإِنَّهُ لَذُو عِلْمٍ لِّمَا عَلَّمْنَاهُ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ ﴾ [يوسف : ٦٨] ، ومنهم أبناؤه ، وانطلاقًا مما علمه الله أمر أبناءه قائلا كما أخبر الله عنه : ﴿ يَا بَنِيَّ اذْهَبُواْ فَتَحَسَّسُواْ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلاَ تَيْأَسُواْ مِن رَّوْحِ اللّهِ إِنَّهُ لاَ يَيْأَسُ مِن رَّوْحِ اللّهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ ﴾ [يوسف : ٨٧] .

هذا توجيه كريم من نبي كريم نطالع فيه أنوار النبوة الساطعة ويقينها الصادق ، فيعقوب عليه السلام يعلم من الله ما لم يعلمه أبناؤه ، وهو على يقين بتحقق رؤيا يوسف عليه السلام ، ومع اشتداد الأزمة فهذا أوَانُ انضراجها ، ولذلك أمر يعقوب عليه السلام أبناءه بالعودة إلى مصر والتحقق من وجود يوسف عليه السلام وأخيه هناك .

وقوله : ﴿ فتحسسوا ﴾ يحمل هذه المعاني ، فالتحسس يكون في الخير عكس التجسس فيكون في الشر ، والتحسس كذلك هو طلب الشيء بالحواس ، وفي ذلك إشارة إلى يقين يعقوب عليه السلام في وجود يوسف عليه السلام حقًا ، وفي ندائه لهم بقوله : ﴿ يا بني ﴾ ، وصف بالبنوة ، وهو تلطف معهم في الطلب مما يحملهم على الامتثال للأمر ، وأعقب الأمر بالنهي عن اليأس من روح الله ، واستخدام لفظ « الروح » يبعث على الأمل ، ويشيع في

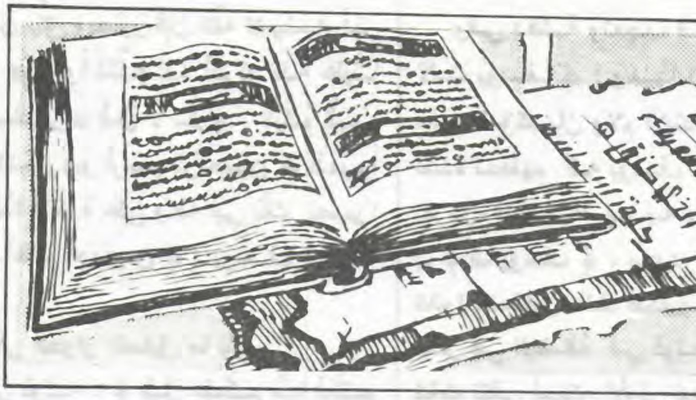

النفس الرجاء بالفرَج ، فإذا أضيف إلى لفظ الجلالة هكذا « روح اللّه » فذلك منتهى الأمل في سعة رحمة الرحمن الرحيم .

ثم أعقب ذلك بقوله : ﴿ إِنَّهُ لاَ يَيْأَسُ مِن رَّوْحِ اللَّهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ ﴾ .

وهذا بمثابة تعليل لنهيه المتقدم لهم عن اليأس من روح اللّه . فاليأس من روح اللّه ؛ أي من رحمة اللّه وفرجه لا يكون من المؤمنين ، بل من صفات الكافرين ، وهذا تحفيز لهمّة الأبناء حتى ينطلقوا إلى مصر بيقين المؤمنين الصادقين ، وتنفيرًا لهم من اليأس والقنوط الذي هو من صفات الكافرين ، نعوذ باللّه من ذلك .

بهذا الخطاب النابع من نفس مؤمنة بقضاء اللّه وقدره واثقة كل الثقة فيما عند اللّه ، موقنة في سعة رحمته وقرب فرجه ، توجه يعقوب عليه السلام النبي الأب إلى أبنائه بخطابه لينهضوا ملتمسين أخاهم يوسف موقنين - بإذن اللّه - من الحصول عليه ، واستجاب الأبناء لأمر أبيهم ، وأعدوا العدة ، وانطلقوا إلى مصر لمقابلة العزيز عسى أن يظفروا بشيء من كرمه وجوده الذي لمسوه فيه من قبل ، ولما دخلوا عليه قالوا - وقد قصّ اللّه سبحانه مقالتهم في قوله تعالى -: ﴿ فَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَيْهِ قَالُواْ يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا الضُّرُّ وَجِئْنَا بِبِضَاعَةٍ مُّزْجَاةٍ فَأَوْفِ لَنَا الْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ ﴾ [يوسف : ٨٨] .

على عادة الأسلوب القرآني في اختصار كثير من المواقف والأحداث الفرعية سكت السياق القرآني البليغ عن أحداث رحلتهم من الشام إلى مصر ، وانتقل مباشرة إلى هذا المشهد ، حيث دخل الإخوة على أخيهم الذي ما زالوا لا يعرفون حقيقة أمره ، ويعرفونه بعزيز مصر فحسب .

فلما دخلوا عليه تلطفوا معه في الخطاب واستعطفوه بإظهار ما أصابهم وأهلهم من ضر ، ومن مظاهر ذلك الضر أنهم جاءوا بدراهم قليلة في عددها وفي قيمتها ، وهنا طلبوا منه ألا يكافئهم بهذه الدراهم الرديئة ، بل يعاملهم بفضله وإحسانه ، ويتصدَّق عليهم طمعًا فيما عند اللّه ، وهنا رقّ يوسف عليه السلام لحالهم فبادرهم بما أخبر اللّه تعالى في الحوار التالي : ﴿ قَالَ هَلْ عَلِمْتُم مَّا فَعَلْتُم بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنتُمْ جَاهِلُونَ ۞ قَالُواْ أَإِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُ قَالَ أَنَاْ يُوسُفُ وَهَذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللَّهُ

عَلَيْنَا إِنَّهُ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لاَ يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ۞ قَالُواْ تَاللَّهِ لَقَدْ آثَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا وَإِن كُنَّا لَخَاطِئِينَ ۞ قَالَ لاَ تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ۞ اذْهَبُواْ بِقَمِيصِي هَذَا فَأَلْقُوهُ عَلَى وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا وَأْتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ [يوسف : ٨٩-٩٣] .

نلاحظ في الحوار السابق ما يلي :

١- في قوله : ﴿ هَلْ عَلِمْتُم مَّا فَعَلْتُم بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنتُمْ جَاهِلُونَ ﴾ ؟

استفهام غرضه التوبيخ والاستنكار لما وقع منهم من أفعال ذميمة تجاه يوسف عليه السلام وأخيه ، واستخدم : ﴿ هل ﴾ التي بمعنى (قد) لإفادة التحقيق .

وأفعالهم المذمومة تجاه يوسف عليه السلام معلومة ، وتجاه أخيه ، فهي تشمل التفريق بين يوسف وأخيه ، وتشمل كذلك سوء معاملتهم لأخيهم بنيامين ، وإهانتهم له التي تنافي مسلك الأخوة ، ولذلك جعل ذلك الزمن زمن جهالتهم بقوله : ﴿ إذ أنتم جاهلون ﴾ ، و﴿ إذ أنتم جاهلون ﴾ تشمل زمن جهالتهم من حيث السن ومن حيث العلم ، وكذلك تشير إلى أن كل من عصى الله فهو جاهل كما قال تعالى : ﴿ إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوَءَ بِجَهَالَةٍ ﴾ الآية [النساء : ١٧] ، كما أن فيها تعريض بأنهم قد صلح حالهم من بعد ، وهو أدب في الخطاب يتناسب مع أسلوب الأنبياء في الدعوة إلى الله ، ويفتح أمام الإخوة طريق الأمل ويخفف عنهم من الشعور بعقدة الذنب ، ويفتح أمامهم أبواب التوبة ، ويدفعهم إلى الصلاح دفعًا .

وفي دهشة وتعجب قال الجميع : ﴿ أَإِنَّكَ لأَنتَ يُوسُفُ ﴾ ؟ وهذا الاستفهام التقريري منهم المؤكد بإن ولام الابتداء ، وضمير الفصل لشدة تحققهم أنه يوسف عليه السلام ، وإنما طلبوا تقريره لتأييد علمهم به ، وانظر إلى جوابه بـ ﴿ أنا يوسف ﴾ ، مجرد عن التأكيد ؛ لأنهم كانوا متحققين ذلك فتكفيهم هذه الإجابة ، ثم انظر إلى الإضافة في قوله : ﴿ وهذا أخي ﴾ كانت تكفى إجابته الأولى ليعلموا أنَّ هذا أخوه ، لكنه أضاف هذه الجملة إظهارًا لحكمة اللّه ورحمته التي جمعت بينه وبين أخيه بعد طول فرْقة خلافًا لما قصده الإخوة وهم جاهلون ، ومن هنا عقَّب بقوله : ﴿ قد مَنَّ اللّه علينا ﴾ فجملة ﴿ قد منَّ اللّه علينا ﴾ بيان للمقصود من جملة : ﴿ وهذا أخي ﴾ .

أي قد منَّ اللّه علينا فجمعنا بعد افتراق ، ولم شملنا بعد شتات وجاء قوله : ﴿ إِنَّهُ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لاَ يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ تعليل وتوكيد ، فهو تعليل لما تقدم من نعمة اللّه أحاطت بيوسف وأخيه نتيجة صبرهما وتقواهما ، ثمْ انتقل التوكيد إلى جعل ذلك قانونًا عامًّا يشمل جميع المحسنين في كل زمان ومكان ، وأراد يوسف عليه السلام أن يلقِّن إخوته درسًا ويُعلمهم وسائل التعرض إلى نعم اللّه تعالى ، وحثهم على التقوى والتخلق بالصبر تعريضًا بأنهم لم يتقوا اللّه فيه ، ولا في أخيه ، ولم يصبروا على إيثار أبيهم إياهما عليهم .

وقال صاحب « التحرير والتنوير » : (وهذا من أفانين الخطابة أن يغتنم الواعظ الفرصة لإلقاء الموعظة وهي فرصة تأثر السامع

وانفعاله وظهور شواهد صدق الواعظ في موعظته) .

وقد يسأل سائل ويقول : فهمنا من الحوار ما يدل على مدح يوسف عليه السلام نفسه وأخاه بالتقوى والصبر ، ودخولهم في عداد المحسنين ، فهل يجوز ذلك ؟

أجاب صاحب تفسير « التحرير والتنوير » عن ذلك التساؤل بقوله : (إن هذا في مقام التحدث بالنعمة وإظهار الموعظة سائغ للأنبياء ؛ لأنه من التبليغ كقول النبي ﷺ : « إنني لأتقاكم لله وأعلمكم به ») .

وهنا جاء دور الاعتراف بالذنب والعزم على التوبة والإقرار بفضل الله الذي غمر يوسف عليه السلام ، فقال الإخوة في بهجة صادقة بما أخبر الله تعالى عنهم : ﴿ قَالُواْ تَاللَّهِ لَقَدْ آثَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا وَإِن كُنَّا لَخَاطِئِينَ ﴾ .

وهذا اعترافهم بتفضيل الله ليوسف عليه السلام عليهم وهو اعتراف بالحق فرضه الواقع المشاهد ، ثم أتبعوا ذلك باعترافهم بخطئهم فيما فكروا وفيما دبروا بشأن يوسف وأخيه ، وهذا الاعتراف دليل صدقهم في توبتهم وندمهم على ما فعلوا ، ولذلك كان تعقيب يوسف الآتي :

﴿ قَالَ لاَ تَثْرَيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴾ ؛ أي الآن وقد اعترفتم بأخطائكم ، وتبتم إلى الله يغفر الله لكم ، فهو التواب الرحيم ، بل هو أرحم الراحمين .

وما أشبه هذا بموقف رسول الله ﷺ يوم فتح مكة حين وقف بعد أن مكنه الله من رقاب قريش ، فقال : « ماذا تظنون يا معشر قريش ؟ » قالوا : خيرًا ، أخ كريم ، وابن أخ كريم ، وقد قدرت ، قال : « وأنا أقول كما قال أخي يوسف : ﴿ لاَ تَثْرَيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ ﴾ »[1] .

إن هذا قد خرج من مشكاة واحدة ، فالذي بعث يوسف عليه السلام هو الذي بعث محمدًا ﷺ وجميع الأنبياء هو الله الواحد الأحد ، وقد جمع الله لنبيه ورسوله محمد ﷺ أخلاق الأنبياء جميعًا ، وشملت شريعته الشرائع كلها ، ونسخت ما نسخت منها ، وأقرَّت ما أقرت ، وهيمنت على الشرائع ، فهي الشريعة التي أراد الله لها البقاء والاستمرار إلى يوم الوعد الموعود .

ونعود إلى يوسف عليه السلام ، حيث عقب في حواره مع إخوته بقوله : ﴿ اذْهَبُواْ بِقَمِيصِي هَذَا فَأَلْقُوهُ عَلَى وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا وَأْتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ .

وهذه معجزة أخرى أجراها الله لنبيه يوسف عليه السلام ، حيث يكون قميصه سببًا في إبراء بصر أبيه مما أصابه - بإذن الله - وقد آن الأوان لتأويل رؤيا يوسف عليه السلام واجتماع شمل الأسرة في أرض الكنانة ، هذا وقد كتم يوسف عليه السلام خبره عن إخوته يوم كتمه بإذن الله ، وأخبرهم وعرفهم بنفسه أيضًا بإذن الله ، ذلك ما قدره الله ليوسف عليه السلام وأهله ، وفي ذلك من الدروس والعبر ما يضيق عنه المقام .

فإلى لقاء نستلهم الدروس والعبر ونكمل المسير ، عسى الله أن ينفعنا بما علمنا ، وأن يعلمنا ما ينفعنا ، إنه نعم المولى ونعم النصير .

---

(١) أورده المناوي في « شرح الجامع الصغير » : (ص١٧١، ج٥) .

حول الحوار الإسلامي المسيحي :

مرحبًا بالحوار غير المخادع !!

بقلم لواء / أحمد عبد الوهاب

رئيس مجلس إدارة المركز العام لمسجد العزيز بالله

يعرف الحوار في اللغة : بأنه مراجعة الكلام ، ويكون بين اثنين على الأقل ، وهي عملية يتم فيها عرض قضية ما ، والرد على الاستفسارات المتعلقة بمختلف جوانبها ، وبيان أوجه التوافق والاختلاف ، والقبول والاعتراض .

والخلاصة أن الحوار وسيلة لتبادل الآراء الحرة ، بقصد تقرير الحقيقة من وجهة نظر المتحاورين .

والمسلم من أكثر الناس تقديرًا للحوار ، فمنذ البدء كان وسيلة للإعلام والتبيين : ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُواْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاء وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة : ٣٠] .

والحوار وسيلة لاستبيان الحقائق وكشف الأضاليل : ﴿ قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلاً ﴾ [الكهف : ٣٧] .

ولقد علَّم القرآن المسلمين كيف يتحاورون مع أهل الكتاب ، فقال : ﴿ وَلاَ تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلاَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴾ [العنكبوت : ٤٦] .

الحوار - إذن - هو تعليم إسلامي أصيل ، بشرط أن يكون حوارًا حرًا غير مخادع .

هذا ، ولقد بينت وثائق الكنيسة أن الحوار من وجهة نظرها له معنى آخر ، غير المعنى الطبيعي المتعارف عليه بين الناس ، فلقد تضمنت مجموعة الوثائق التي صدرت عن المجمع المسكوني الثاني للفاتيكان (١٩٦٢- ١٩٦٥) تفصيلاً لهذا الحوار ، جاء فيها :

« يجب إعداد رجال دين عندهم استعداد للحوار ، رجال دين يعرفون كيف يصغون إلى الآخرين ، رجال دين في طبيعتهم أن يوقظوا الاهتمام في النفوس ، وأن يكونوا معلمين للإيمان (المسيحي) ، رجال دين يستطيعون أن يتيحوا الفرص للعمل الإرسالي الرسولي (التبشيري) ، وأن يبعثوا فيه الحياة بين غير رجال الدين ، بروح كاثوليكية فعلاً .

وفوق ذلك يجب أن يعدوا (القائمين بالحوار مع غير النصارى) بطريقة موافقة لتفهيمهم

الوسائل الفنية التي لا بد منها ، حتى يستطيعوا أن يتسللوا بنشاط في الجماعات التي تتألف منها الجماعة الإنسانية ، وأن يدعوا الحوار مع الآخرين ..

وفيما يتعلق بالتبشير للتنصير ، فيجب إعداد غير رجال الدين إعدادًا خاصًا للقيام بالحوار مع الآخرين ، من المؤمنين (الكاثوليك) ، ومن غير المؤمنين حتى يبينوا للجميع رسالة المسيح » . اهـ .

أما اليوم فقد أصبح البابا يوحنا بولس الثاني - بابا الفاتيكان - أكثر تحديدًا لمعنى الحوار ؛ حيث إنه من وجهة نظره يعني ارتداد الآخرين عن دينهم ، واعتناق المسيحية ، وفق المفاهيم الكاثوليكية .

ففي كتاب صدر عام ١٩٩٤ م بعنوان : « ادخلوا في الرجاء » ، عبارة عن أجوبة على عدة تساؤلات كان قد طرحها أحد الصحفيين على البابا يوحنا بولس الثاني ، وكان نص كلماته :

« إن الكنيسة تستعمل الحوار لكي تحس كل الناس على الارتداد والتوبة عن طريق تجديد ضميرهم وحياتهم تجديدًا عميقًا في ضوء سر الفداء والخلاص (المسيحي) .

إن الهدف الإلهي الوحيد والنهائي يتمركز في يسوع المسيح الإله الإنسان الذي يتعين على كافة البشر أن يجدوا فيه اكتمال الحياة الدينية .. فلا يوجد مخلوق يمكنه أن يظل خارجًا أو حتى على هامش عمل يسوع المسيح الذي مات من أجل الجميع ، إذن فهو منقذ العالم » . اهـ .

فها هي وثائق الفاتيكان تستخدم عبارات : إتاحة الفرص ، والتسلل .. وما إلى ذلك ، وهو ما يعني أنه ليس حوار أحرار على الإطلاق ، إنما يعني خداعًا لغير المسيحيين ، وإجبارهم على الارتداد .

أهكذا يوم الحوار يا قادة العالم المتمدنيين ؟!

من مواقف السلف :

كان أبو شجاع الوزير كثير الصدقة والإحسان إلى العلماء والفقهاء والأرامل والأيتام . قال له رجل : إلى جانبنا أرملة لها أربعة أيتام ، وهم عراة جياع ، فبعث إليهم مع رجل من خاصته نفقة وكسوة وطعامًا ، ونزع ثيابه في البرد الشديد ، وقال : واللَّه لا ألبسها حتى ترجع إليَّ بخبرهم . فذهب الرجل مسرعًا ، فقضى حاجتهم وأوصلهم ذلك الإحسان ، ثم عاد والوزير يركض من البرد ، فلما أخبره عنهم بما سره لبس ثيابه . اهـ .

« البداية والنهاية » (١٦/١٥١) .

التعريف بصحيح البخاري

كتبه الشيخ / أسامة علي سليمان

إدارة شئون القرآن الكريم

الإمـام البخـاري : هـو أبـو عبـد اللـه محمـد بـن إسماعيل بن إبراهيم بـن المغيرة ، والده إسماعيل كـان عالمًا جليلا ، سمع من حماد بن زيد والإمام مالك ، وقـد جمع العلم والورع والتقوى .

❑ **مولده ونشأته** : ولد يوم الجمعة بعد الصلاة فـي ١٣ شوال ١٩٤ هـ ببلـدة بخـارى ، مـات أبـوه وهـو صغير ، فكفلته أمه .

❑ **رحلته في طلب العلم** : في عام ٢١٠ هـ خرج إلى مكة المكرمة حاجًا ، وكان يرحل إلى المدينة في بعض الأحيان ، وفي الحرمين الشريفين ، ألف الإمـام البخـاري بعض كتبه ووضع أساس ((الجامع الصحيح وتراجمه)) ، وألف ((التاريخ الكبير)) عند قبر النبي ﷺ ، ورحل إلى مصـر والشـام والجزيـرة والبصـرة والحجـاز والكوفـة وبغداد ، والتقى بإمام أهل السنة أحمد بن حنبل في بغداد مرارًا ، وقد كان يستيقظ بالليل أكثر من عشرين مرة ، كلما حضرته فائدة أوقد السراج ، ثم أطفأه .

❑ **تعرضه للفتن** : ارتحل رحمـه اللـه إلى نيسـابور سنة ٢٥٠ هـ ، فرحب به أهلها ، واستقبله محمد بن علي الذهلي عالم نيسابور وشيخها وكافة علماء نيسابور ، ولكن الحاسدين أوقعوا بينه وبين شيخه الذهلي بزعم أن البخاري ، رحمه ، قال بخلق القرآن ، فانقطع عن درسـه الجميع عدا الإمام مسلم ، رحمه اللّه ، وأحمد بن سلمة .

والإمـام البخـاري ، رحمـه اللـه ، بـريء مـن هـذه التهمة ، فلقد ثبت عنه أنه قال : من زعم أنني قلت بخلق القرآن فهو كذاب ، فالقرآن كـلام اللـه ، والصوت صوت القـارئ ، ولكن اشتد الخطب عليه من الذهلي ، فخرج الإمام البخاري رغبة في القضاء على الفتنة ، وتوجه إلى بلدته بخارى عائدًا إليها ، فاستقبله أهلها ، ونـثروا عليـه الدراهم والدنانير ، ثم وقع بينه وبين أميرها (خـالد بـن أحمد الذهلي) فتنة بسبب اعتزازه بـالعلم ، وذلك عندمـا طلب منه خالد أن يحمل إليه كتـاب ((الجـامع الصحيـح)) و((التـاريخ)) ليسـمع منـه هـو وأولاده ، فـأبى الإمـام البخاري وقال له : إني لا أذل العلم ، ولا أحمله إلى أبواب السلاطين ، فإن يعجبك هذا فأنت السلطان فـامنعني من المجلس ليكون ذلك عذر لي أمام اللّه يوم القيامـة ، فنفـاه الأمـير مـن البلدة ، فدعـا عليـه الإمـام البخـاري دعـوة مظلوم ، فلم يمض شهر حتـى حُمل الأمير على حمـار وبرذعة وحُبس ، وكانت نهاية أمره خسرًا .

❑ **وفاته** : خرج الإمام البخاري ، رحمـه اللّـه ، من بخارى إلى نيسابور بناءً على طلب أهلها ، وبينما هو في الطريق إليها مات ، رحمه اللّه ، علـى بعد ميلين منهـا ، وكان ذلك عام ٢٥٦ هـ ليلة عيد الفطـر ، وقد بلـغ اثنين وستين سنة .

❑ **شيوخه وتلاميذه** : مـن شـيوخ البخـاري ، رحمـه اللّه :

١- علي بن المديني . ٢- أحمد بن حنبل .

٣- يحيى بن معين . ٤- إسحاق بن راهويه .

ومن تلامذته : الإمام مسلم ، والترمذي ، والنسـائي ، وابن خزيمة .

ولقد رُزق الإمام البخاري ، رحمه اللّه ، ذكاءً حـادًا ، فقد روي أنـه قـال : احفظ مائـة ألـف حديـث صحيـح ، ومائتي ألف حديث غير صحيح .

❑ **كتـاب ((الجـامع الصحيـح))** : أول مـن خـص الصحيح بالتـأليف الإمـام البخـاري ، رحمـه اللّـه تعـالى ، والدافع على تأليفـه رؤيـا رآهـا ، وكذا كلمـة سمعها من شيخه إسحاق بن راهويه : أما الرؤيا فإنه رأى أنـه يقف بين يدي النبي ﷺ وبيده مروحة يذب بهـا عنـه ، فوافق ذلك كلمـة سمعها من شيخه إسحاق : لو جمعت كتابـًا مختصرًا بصحيح سنة رسول اللّه ﷺ ، وكان منهجه فـي كتابـه ((الجامع الصحيـح)) فـي غايـة الدقـة والتحـري والتنقيح والتدقيق ، بالإضافة إلى أنه كـان قبل وضـع أي حديث يصلي ركعتين للّـه استخارة ، ولقد بـوّب أبوابـه ووضـع أساسـه فـي المسجد الحـرام ، ثـم بيـن تراجمـه وأصولـه في الروضـة الشريفة المباركـة ، ولقد تلقتـه الأمـة بالقبول والاطمئنان ، وهو أهم الكتب المدونة في الحديث .

❑ **شروط البخاري في الصحيح** : لقد وضـع علمـاء الحديث للحديث الصحيح شروطـًا حتـى يكون صحيحـًا ،

وهي شروط في الراوي ، وشروط في المروي ؛ أما شروط الراوي : أن يكون مسلمًا ، عاقلًا ، صادقًا ، غير مدلس ولا مختلط[1] ، عادلًا ، ضابطًا ، سليم الذهن والحواس ، سليم الاعتقاد .

أما المروي فيكون إسناده متصلًا[2] ، دون شذوذ ولا علة ، ولا منقطعًا وأسقط من سنده راو بخلاف الصحابي في أي موضع .

والبخاري ، رحمه الله ، التزم أعلى درجات الصحة ، فهو يعتمد على الرواة الذين في أعلى الدرجات عند شيوخهم ، وهو فقيه مجتهد وفقيه في تراجمه .

❑ **أسلوب البخاري في وضع كتابه** : قسم البخاري ، رحمه الله ، ((الصحيح الجامع)) إلى كتب ، والكتب قسمها إلى أبواب ، وعدد الكتب (٩٧) كتابًا ، بدأها بكتاب (بدء الوحي) ، ثم (العلم) ، ثم (الطهارة) ، ثم (الصلاة) ، ثم (الزكاة) ، واختتم ((الجامع)) بكتاب (التوحيد) وعدد أبواب الكتاب (٣٤٥٠) بابًا .

ولعلك تلاحظ أن البخاري ، رحمه الله ، يورد في بعض الأبواب أحاديث كثيرة ، وفي بعضها حديث واحد ، وفي بعضها آية من كتاب الله ، وفي بعضها لا يضع شيئًا ؛ لأنه لم يجد في هذا الباب ما على شرطه ، رحمه الله ، فتركه لعله يجد شيئًا بعد ذلك ، وقد يكرر الإمام البخاري ، رحمه الله ، الحديث في ((صحيحه)) أكثر من مرة ، وقد يذكر الحديث مختصرًا أو يذكر جزءًا منه فقط ، وذلك لعلة ولفائدة تعود إلى سند الحديث أو متنه ، ولقد اشترط الإمام البخاري ، رحمه الله ، في الرواية بالعنعنة شرطان :

١- المقابلة للراوي .

٢- المعاصرة للراوي حتى تفيد الاتصال .

❑ **معلقات البخاري** : الحديث المعلق هو الذي سقط من أول إسناده راوٍ أو أكثر ، ومثال ذلك : كأن يقول الإمام البخاري : قال مالك عن نافع ، عن ابن عمر ، فالبخاري بينه وبين مالك لا شك رواة غير مذكورين ، والمعلقات عند البخاري ليست من أصل الكتاب ، بل هي تذكر للاستشهاد والترجيح ، والعلامة ابن حجر ألَّف في ذلك كتابًا سماه ((تغليق التعليق)) .

❑ **ثلاثيات البخاري** : وللبخاري في ((صحيحه)) (٢٢) حديثًا تسمى ثلاثيات ؛ وهي ما كان بين البخاري وبين النبي ﷺ ثلاثة رواة فقط ، وهذا يسمى عند العلماء سند عالٍ ، ومن أمثلة ذلك ما جاء في كتاب (العلم) ، باب : (إثم من كذب على النبي ﷺ) .

قال البخاري : حدثنا مكي بن إبراهيم ، حدثنا يزيد بن أبي عبيد ، عن سلمة بن الأكوع قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : ((من يقل عليَّ ما لم أقل فليتبوأ مقعده من النار)) .

يقول العلامة محمد محمد أبو شهبة : (لا تلتفت أفي أعلى أرجاف المرجفين وزعم الجاهلين أن في ((صحيح البخاري)) أحاديث موضوعة ، لا يزعم هذا إلا ضيق الأفق في العلم بالسنة ورجالها) .

ثم قال ، رحمه الله : ونحن لا ندعي العصمة للبخاري ، ولكن الله الذي تكفل بحفظ كتابه ، فقيض للسنة من حفظها ، وميز صحيحها من سقيمها .

❑ **عدد أحاديث البخاري** : جميع ما في ((صحيح البخاري)) من الأحاديث الموصولة بلا تكرر (٢٦٠٢) ، وبالأحاديث المكررة (٧٣٩٧ حديثًا) ، وهذا ما ذكره ابن حجر ، رحمه الله ، في مقدمة ((الفتح)) .

❑ **شروح البخاري** : إن من أفضل الكتب ، بل أفضلها التي شرحت ((صحيح البخاري)) كتاب ((فتح الباري في شرح صحيح البخاري)) للحافظ العلامة ابن حجر العسقلاني المصري ، رحمه الله تعالى ، ومكث في تأليفه ربع قرن من الزمان ، وبعد الانتهاء منه ، أعد وليمة دعا إليها العلماء .

ولذلك لما طُلب من الشوكاني ، رحمه الله تعالى ، أن يقوم بشرح ((البخاري)) قال : (لا هجرة بعد ((الفتح))) معرضًا بـ ((فتح الباري)) لابن حجر ، رحمه الله .

نسأل الله تعالى أن يحشرنا مع علمائنا الذين تركوا للأمة علمًا نافعًا ، وكل ذلك في ميزانهم يوم العرض على الله .

والله من وراء القصد .

---

(١) المدلس هو الذي يروي عمن عاصره ولم يسمع منه ، موهمًا أنه سمع منه ، والمختلط هو الذي طرأ عليه كثرة الغلط أو الخطأ بسبب كبر السن أو ضياع أوراقه .

(٢) ومعنى متصل : ألا يكون مرسلًا ؛ أي سقط من سنده الصحابي .

وقفة عرفات

بقلم فضيلة الشيخ / سعود الشريم

إمام وخطيب المسجد الحرام

في ((الصحيحين)) عن عمر بن الخطاب ، رضي الله عنه : ((أن رجلاً من اليهود قال له : يا أمير المؤمنين ، آية في كتابكم لو علينا معشر اليهود نزلت لاتخذنا ذلك اليوم عيدًا ، فقال : أي آية ؟ قال : ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا ﴾ [المائدة : ٣] ، فقال عمر : إني لأعلم اليوم الذي نزلت فيه والمكان الذي نزلت فيه ؛ نزلت ورسول الله ﷺ قائم بعرفة يوم جمعة)) .

والوقوف بعرفة ركن من أركان الحج لقوله ﷺ: ((الحج عرفة)). ويوم عرفة يوم العتق من النار.

والواقع أن يوم عرفة يوم من مفاخر الإسلام ؛ لأن المسلمين لا يمكن أن يحتشدوا في مكان كهذا المكان ، لا يعرف بعضهم بعضًا إلا هنا ، يوم عرفة يوم بكاء وخشوع ، يوم خوف من الله ، إنك أيها الحاج إذا خفت من مخلوق فررت منه ، ولكنك إذا خفت من الله فررت إليه ، قال تعالى : ﴿ فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴾ [الذاريات : ٥٠] ، ويوم عرفة له فضائل متعددة ؛ منها أنه يوم إكمال الدين وإتمام النعمة - كما تقدم - ومنها ؛ أنه عيد لأهل الإسلام ، كما قاله عمر وابن عباس ، رضي الله عنهما ، وخصوصًا أنه عيد لأهل الموقف ، ويشرع صيامه لغير الحاج عند جمهور أهل العلم .

وأما الحاج فالأفضل في حقه ألا يصوم عرفة ، بل يفطر اقتداءً بالنبي ﷺ ، وليتقوى بالفطر على طاعة الله في ذلك اليوم . ومنها ؛ أنه قد قيل : إن يوم عرفة هو الشفع الذي أقسم الله به في قوله : ﴿ وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ ﴾ [الفجر : ٣] ، وأن الوتر يوم النحر ، وقيل : إنه الشاهد الذي أقسم الله به في قوله : ﴿ وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ ﴾ [البروج : ٣] ، فقد جاء في ((مسند الإمام أحمد)) عن أبي هريرة مرفوعًا وموقوفًا : ((الشاهد يوم الجمعة ، والمشهود يوم عرفة)) . رواه الترمذي .

وعلى هذا فإذا وقع يوم عرفة في يوم جمعة ، فقد اجتمع في ذلك اليوم شاهد ومشهود . ومنها : أنه يوم مغفرة الذنوب والتجاوز عنها ، والعتق من النار والمباهاة بأهل الموقف ، كما في ((صحيح مسلم)) عن عائشة ، رضي الله عنها ، عن النبي ﷺ قال : ((ما من يوم أكثر من أن يعتق الله فيه عبدًا من النار من يوم عرفة ، وإنه ليدنو ، ثم يباهي بهم الملائكة ، فيقول : ما أراد هؤلاء)) .

وفي ((مسند أحمد)) عن النبي ﷺ قال : ((إن الله يباهي ملائكته عشية عرفة بأهل عرفة ، فيقول : انظروا إلى عبادي ، أتوني شعثًا غبرًا)) . ومنها ؛ أن صيامه يكفر الله به سنتين السنة التي قبله والسنة التي بعده ، كما جاء ذلك في ((صحيح مسلم)) .

فينبغي للحاج أن يغتنم هذا اليوم فيكثر فيه من شهادة التوحيد بإخلاص وصدق .

فإنها أصل دين الإسلام الذي أكمله الله تعالى في هذا اليوم ، جاء عن عمرو بن شعيب عن أبيه ، عن جده ، قال : كان أكثر دعاء النبي ﷺ يوم عرفة : ((لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد ، بيده الخير وهو على كل شيء قدير)) . رواه أحمد .

وروى الترمذي عن النبي ﷺ قال : ((خير الدعاء دعاء يوم عرفة ، وخير ما قلت أنا والنبيون من قبلي : لا إله إلا الله ، وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد ، وهو على كل شيء قدير)) .

سأل أحد السلف سفيان بن عيينة عن أفضل الدعاء يوم عرفة ، فقال : ((لا إله إلا الله وحده لا شريك له)) . فقال له الرجل : هذا ثناء وليس بدعاء .

فقال له سفيان : أما علمت قول الشاعر :

أأذكر حاجتي أم قد كفاني
حياؤك بأن شيمتك الحياء
إذا أثنى عليك المرء يومًا
كفاه من تعرضه الثناء

ثم قال سفيان للرجل : هذا مخلوق يكتفي بالثناء عليه دون مسألة ، فكيف بالخالق ؟

وقد كانت أحوال الناس في الموقف بعرفة متنوعة ؛ فمنهم من كان يغلب عليه الخوف أو الحياء ، فقد وقف مطرف بن عبد الله بن الشخير وبكر المزني بعرفة ، فقال أحدهما : اللهم لا ترد أهل الموقف من أجلي ، وقال الآخر : ما أشرفه من موقف وأرجاه لأهله لولا أني فيهم .

ووقف أحد الصالحين بعرفة ، فمنعه الحياء من الدعاء ، فقيل له : لِمَ لا تدعو ؟ فقال : أجد وحشة ، فقيل له : هذا يوم العفو عن الذنوب ، فبسط يديه ، ووقع ميتًا .

روي عن الرياش قال : رأيت أحمد بن المعذّل في الموقف في يوم شديد الحر ، وقد ضحى للشمس - يعني : لم يستظل بشيء عن الشمس - فقلت له : يا أبا الفضل ، هذا أمر قد اختلف فيه ، فلو أخذت بالتوسعة ، فقال أحمد :

ضحيت له كي أستظل بظله
إذا الظل أضحى في القيامة قالصا
فيا حسرتا إن كان سعيك باطلاً
ويا أسفا إن كان حجك ناقصا

وهذا اجتهاد من أحمد بن المعذّل حرصًا منه على الأجر ، ولكن رسول الله ﷺ وهو خير البشر استظل في يوم عرفة .

ومن أولئك الناس في الموقف بعرفة ، من كان يغلب عليه الرجاء ، قال ابن المبارك : جئت إلى سفيان الثوري عشية عرفة وهو جاث على ركبتيه وعيناه تذرفان ، فقلت له : من أسوأ هذا الجمع حالاً ؟ قال : الذي يظن أن الله لا يغفر له .

وروي عن الفضيل بن عياض أنه نظر إلى تسبيح الناس وبكائهم عشية عرفة ، فقال : أرأيتم لو أن هؤلاء صاروا إلى رجل فسألوه دانقًا - يعني : سدس درهم - أكان يردهم ؟ قالوا : لا ، قال : والله للمغفرة عند الله أهون من إجابة رجل لهم بدانق .

وإني لأدعو الله حتى كأنما
أرى بجميل الظن ما الله صانع

إذًا تبين لك أيها الحاج موقف الناس في هذا اليوم ، فاعلم أنه يجب أن يكون العبد خائفًا راجيًا ، فالخوف الصادق المحمود هو ما حال بين صاحبه وبين محارم الله ، فإذا تجاوز ذلك خيف منه اليأس والقنوط .

والرجاء المحمود : هو رجاء رجل عمل بطاعة الله على نور من الله ، فهو راج لثوابه ، أو رجل أذنب ذنبًا ثم تاب منه إلى الله ، فهو راج لمغفرته ، قال تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُواْ وَالَّذِينَ هَاجَرُواْ وَجَاهَدُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ أُوْلَـئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللّهِ وَاللّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [البقرة : ٢١٨] . وكل رجاء لا يحمل صاحبه على فعل المأمورات لا يعد رجاء ، بل هو مغالطة وأمن من مكر الله : ﴿ فَلاَ يَأْمَنُ مَكْرَ اللّهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ ﴾ [الأعراف : ٩٩] .

ترجو النجاة ولم تسلك مسالكها
إن السفينة لا تجري على اليبس

فالرجاء بلا عمل غرور وتمنٍّ كاذب ، قال بعض أهل العلم : الخوف والرجاء كجناحي الطائر ، وإذا استويا استوى الطير وتم طيرانه ، وإذا نقص أحدهما وقع فيه النقص ، وإذا ذهبا صار الطائر في حد الموت . اهـ .

وقد مدح الله أهل الخوف والرجاء بقوله : ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاء اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ ﴾ [الزمر : ٩] ، وقال تعالى :

﴿ تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا ﴾ [السجدة : ١٦] .

فالرجاء يستلزم الخوف ، ولولا ذلك لكان أمنًا ، والخوف يستلزم الرجاء ، ولولا ذلك لكان قنوطًا ويأسًا ، وكل أحد إذا خفته هربت منه إلا الله ، فإنك إذا خفت منه هربت إليه ، فالخائف هارب من ربه إلى ربه ، وإذا كان المسلم في مرض أو شدة ، فإنه يغلب الرجاء ، لما ثبت عن النبي ﷺ أنه قال : ((لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بربه)) . رواه مسلم .

قال بعض السلف : من عبد الله بالحب وحده فهو زنديق - يعني : منافق - ومن عبده بالخوف وحده فهو حروري - يعني : من الخوارج - ومن عبده بالرجاء وحده فهو مرجئ ، ومن عبده بالحب والخوف والرجاء فهو مؤمن موحد .

إذن علمت أيها الحاج الكريم أنه ينبغي عليك أن تجمع في هذا الموقف بين الأمرين : الخوف ، والرجاء . فتخاف من عقاب الله ، وترجو ثوابه ومغفرته .

قال أحد السلف : (من فاته في هذا العام القيام بعرفة ، فليقم لله بحقه الذي عرفه ، ومن عجز عن المبيت بمزدلفة ، فليبت عزمه على طاعة الله وقد قرّبه وأزلفه ، من لم يقدر على نحر هديه بمنى فليذبح هواه هنا وقد بلغ المنا ، من لم يصل إلى البيت لأنه منه بعيد فليقصد رب البيت فإنه أقرب إلى من دعاه من حبل الوريد) .

فاتق الله أيها الحاج ، وأخبت إلى ربك ، واخضع لجنابه ، وانكسر بين يديه ، وتب إليه توبة نصوحًا ، عسى الله أن يقبل منك إذا علم صدقك وإخلاصك ، ثم اعلم أن الله يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات ، قال تعالى : ﴿ أَلَمْ يَعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ .. ﴾ [التوبة : ١٠٤] ، وقال : ﴿ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [النور : ٣١] .

والله سبحانه وتعالى يقبل توبة العبد ما لم يغرغر - يعني : لم تصل روحه إلى الحلقوم - وقبل أن تطلع الشمس من مغربها ، كما ثبت ذلك عن النبي ﷺ .

وتقبل التوبة قبل الغرغرة
كما أتى في الشرعة المطهرة
كذلك لا يكون سد بابها
قبل طلوع الشمس من مغربها

واعلم أيها المسلم أن الله يقبل التوبة عن عباده مهما كانت ذنوبهم ، حتى الإشراك بالله .

قال تعالى : ﴿ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ [الزمر : ٥٣] .

قال أحد العلماء : إن رجلاً قد أطاع الله عشرين سنة ، ثم عصاه عشرين أخرى ، وفي يوم من الأيام نظر إلى وجهه في المرآة ، فرأى الشيب وبكى ، فسمع صوتًا من بعيد يقول له : أطعتنا فشكرناك ، وعصيتنا فأمهلناك ، وإن رجعت إلينا قبلناك . اهـ .

واعلم أيها الحاج الكريم أن للتوبة شروطًا ذكرها أهل العلم ، وهي أربعة ، ثلاثة منها تشترط فيما إذا كانت المعصية بين العاصي وبين الله وهي :

الأول : الإقلاع عن الذنب .

الثاني : الندم على ما مضى من الذنوب .

الثالث : العزم على ألا يعود لمثلها .

أما إذا كانت المعصية بينه وبين أحد من المخلوقين ، فإنه يزاد شرط رابع من الشروط الثلاثة الماضية ، وهو :

الرابع : أن يرد الحق إلى صاحبه أو يطلب منه المسامحة .

وجمع بعضهم هذه الشروط في شعر فقال :

شروط توبتهم إن شئت عدتها
ثلاث رتبت فافهم على مهل
إقلاعه ندم وعزمه أبدا
ألا يعود لما منه جرى وقل
إن كان توبته من ظلم صاحبه
لا بد من رده الحق في عجل

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

إنا لله وإنا إليه راجعون

بقلوب راضية بقضاء اللّه تعالى وقدره ، تحتسب جمعية أهل الحديث - جامو وكشمير - قائدها وأميرها العام المجاهد البروفيسور محمد رمضان صوفي بن نور الدين صوفي ، الذي وافته المنية يوم الاثنين ١٩٩٩/٢/١٥ م ، على إثر الحادث الهندوسي الغادر بإصابته بطلقات نارية يوم الجمعة ١٩٩٩/١/٢٩م ، بعد أن أدى خطبتي وصلاة الجمعة بآلاف المسلمين في المسجد الجامع (زانبه كدل) بسريناجر عاصمة كشمير المحتلة ، وعلى أثر ذلك ظل - رحمه اللّه تعالى - سبعة عشر يومًا بقسم العناية المركزة في مستشفى كشمير العام حتى وافاه الأجل .. فإنا للّه وإنا إليه راجعون .

نشأ الشيخ محمد رمضان صوفي وترعرع في أسرة متمسكة بالإسلام ، وحرص منذ نعومة أظفاره على تحصيل العلوم الشرعية على أيدي كبار علماء أهل الحديث من أمثال : العلامة الشيخ محمد نور الدين - رئيس الجمعية سابقًا ، ومؤسس الكلية السلفية - والداعية الكبير الشيخ / عبد الرحمن النوري - رحمهم اللّه - ولما اشتد ظهره وقوي عوده التحق بجامعة عليكره الإسلامية ليحصل منها على شهادة الماجستير في اللغة العربية والعلوم الإسلامية ، ومن ثم عُين - رحمه اللّه - أستاذًا في إحدى الكليات الحكومية بكشمير المحتلة ، وفي أثناء ذلك كانت له جهود تشكر فتذكر ، فكان - رحمه اللّه - داعية كبيرًا عرفته ربوع كشمير المحتلة بجهوده في الدعوة إلى اللّه تعالى ، ونشر التوحيد والسنة ، ومحاربة الخرافة والبدعة ، داعيًا إلى الجهاد ضد الاحتلال الهندوسي مؤيدًا للمجاهدين ، الأمر الذي تسبب في سجنه مرتين ، آخرها قبل وفاته بتسعة أشهر .

واعترافًا بجهوده الدعوية وخدماته العلمية وخبراته الإدارية عين - رحمه اللّه - عام ١٩٩١ أميرًا عامًا لجمعية أهل الحديث بكشمير المحتلة ، أكبر منظمة إسلامية بكشمير المحتلة تهتم بدعوة الناس إلى التوحيد الخالص وتعليم أبناء المسلمين ، ونشر اللغة العربية ، ولذا شهدت فترة رئاسته زيادة مضطردة في نشاط الجمعية الدعوية والتعليمية والاجتماعية وكثرة بناء المساجد وفتح المدارس الشرعية ، ومن ضمن مآثره - رحمه اللّه - توسعة « الكلية السلفية » بسريناجر - أكبر الكليات الإسلامية .

وجمعية أهل الحديث إذ تحتسب فضيلته وما قام به من جهود في خدمة الإسلام والمسلمين عند اللّه تعالى ، لتسأله - جل وعلا - أن يأجرها في مصابها ، وأن يخلفها من هو خير منه . وأن يتغمد الفقيد بواسع رحمته .

وإنا للّه وإنا إليه راجعون .

نظرية الإباحة في الشريعة

الحلقة الثانية

بقلم الشيخ / محمد عبد الحكيم القاضي
باحث إسلامي

الحمد لله والصلاة والسلام على رسوله الله وبعد ، فنكمل حديثنا عن :

قضايا المرور :

إن هذه الضوابط الماضية في حقوق الشوارع يسلمنا إلى ما عرف في التقاضي الحديث باسم (قضايا المرور) ، فإذا كان (اتخاذ مرابط الدواب في الطرق)[١] ، ونحوه يمكن أن يشبه ما يسمى الآن (أشغال الطريق) وهو لا يعدو - قانونًا - حجم (المخالفة) ، فقد تطرق النظام المروري في الشريعة إلى قضايا جنائية حينما يتسبب استعمال حق الطريق بالفعل في إتلاف حقوق الغير أو الاعتداء عليه في نفسه ، مثل ما يسمى في التقاضي المعاصر بحوادث السيارات .

وقد طرح الفقهاء القدامى علاقة مثل هذه الحوادث بمفهوم الإباحة ، في حديثهم عن اصطدام الفارس بصاحبه ، فهذا قاضي زاد - من الأحناف - يدافع عن إلزام عاقلة الفارسين المتصادمين بالدية إذا قُتِلا بقوله : (ولنا أن الموت يضاف إلى فعل صاحبه ؛ لأنه فعله في نفسه مباح ، وهو المشي في الطريق)[٢] ، بينما يشير الإمام أبو إسحاق الشيرازي في « المهذب » إلى تتبع الأمارات والدلائل الدالة على إساءة أحد الفارسين في استعمال حق الطريق حينما ينقل عن المزني - تلميذ الشافعي -: (إن استلقى أحدهما فانكب الآخر على وجهه وجب على المنكب دية المستلقي وهدر دمه ؛ لأن الظاهر أن المنكب هو القاتل)[٣] .

ومهما كان من بداية هذا التعليل فهو نوع من السعي وراء تتبع الأمارات في قضية مرورية .

والملاحظ أن قضايا التصادم بين الفرسان والدواب والسفن في البحر قد احتلت اهتمامًا كبيرًا بين الفقهاء ، ومن الصحيح أن نزعم أن الهم الأول كان عندهم محاولة تلمُّح القاتل ، إلا أن هناك إشارات تدل على أن بعضهم كان يحاول دراسة الظروف العامة للفعل (الجريمة) ، وتبين - أي المجني عليه - هو المسيء لاستعمال حق الملاحة أو المرور ، فقد عقد الشربيني فصلاً في شرحه « للمنهاج » حول هذه القضايا من اصطدام الفرسان والدواب باختلاف أنواعها وأحجامها وقوتها ، والسفن ، إلا أنه قال[٤] : تنبيه : يستثنى من كون الملاحين كالراكبين ما إذا قصد الملاحان الاصطدام بما يعده أهل الخبرة مهلكًا مغرقًا ، (ثم ذكر تنبيهًا آخر فيه فائدة أخرى بعد أن فصل كيفية ضمان الأموال التي في السفينتين) ، محل هذا التفصيل إن كان الاصطدام بفعلهما ، أو لم يكن وقصرا في الضبط أو سيرًا في ريح شديدة ، فإن حصل الاصطدام بغلبة الريح فلا ضمان على الأظهر .. فالقول قولهما بيمينهما عند التنازع في أنهما غُلِبا - يعني بالريح - لأن الأصل براءة ذمتهما) .

ثم قال : (وإن تعمد أحدهما أو فرط دون الآخر فلكل حكمه ، وإن كانت إحداهما مربوطة فالضمان على مجرى السائرة)[٥] .

الإسلامية وتطبيقاتها المعاصرة

وفي شهر شعبان سنة ١٣٩٦ هـ انعقدت الدورة التاسعة لمجلس هيئة كبار العلماء بالسعودية ، ورأى إدراج موضوع حوادث السيارات من صدم ودهس وانقلاب ونحو ذلك ، وبيان ما يترتب على ذلك من حق الله وحق العباد ، رأى إدراج ذلك ضمن أعمال الدورة العاشرة ، ومن ثم أعدت اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء بحثًا في ذلك ضمنته ما يأتي :

١- تصادم سيارتين أو صدم إحداهما الأخرى .

٢- دهس سيارة لشيء وانقلابها .

٣- مخالفات المرور .

٤- توزيع الجزاء على من اشتركوا في وقوع الحادث[٦] .

وقد أفاد هذا البحث في موضوعاته المختلفة من الملاحظات الفقهية الكثيرة التي شغلت اهتمام الفقهاء بمذاهبهم المختلفة كما أشرنا .

وفي سنة ١٤٠٧ هـ حصل د. سليمان بن سعد الدخيل على درجة الدكتوراة من المعهد العالي للقضاء بجامعة الإمام محمد بن سعود في موضوع (أحكام الطريق في الفقه الإسلامي مقارنة مع نظام المرور بالمملكة) ، عنيت بدراسة الطرق وتسمياتها وخطط الشوارع ونحوها ، والمخالفات التي تقع في استعمال حق السير أو الانتظار فيها ، وكان عمدته الأولى هو المحصول العلمي المستمد من تراثنا الفقهي في هذه الجوانب .

الإباحة الطارئة وبعض صورها :

ولا تتوقف البحوث التشريعية ، سواء في القانون أو الفقه القانوني - المستمد من نظرية الإباحة في التشريع الإسلامي - عند هذا الحد ، وإنما تمتد لتشمل سائر القضايا التي تتفرع على استعمال الحق ؛ فباحتكاك مفهوم الإباحة مع قاعدة المصلحة - بفروعها المختلفة - تتبلور القوانين المتعلقة بحقوق وضوابط ممارسة مهنة الطب وما يتصل بها من إجراء العمليات الجراحية ، والمسئولية الجنائية للطبيب في حال خطئه أو تَعَدّيه ، وهو موضوع ينبغي عرضه مستقلاً في المستقبل ، إن شاء الله ، إلا أن المثال الذي نريد أن نختتم به هذه العجالة هو تطبيق على دور الإباحة الطارئة في بعض التصرفات ، فقد أشرنا في الصورة الرابعة من صيغ الإباحة إلى الإباحة الاستثنائية ، وهي المستثناة من المحظور في حالة بعينها تسمى من حيث العموم حالة الضرورة ، والمراد بها ارتكاب المحظور من حيث الأصل ، حفاظًا على ضرورة من ضرورات الحياة ، وهنا يتحول هذا المحظور إلى مباح ، وتطبيقاتها - في المجال الفردي - كثيرة منها إجازة تناول بعض الأدوية المحرمة أصلاً عند الظاهرية عمومًا[٧] ، وعند الحنفية إذا تيقن حصول الشفاء به[٨] بشرط ألا يوجد دواء مباح طاهر يقوم مقامه عند الشافعية[٩] ، ومنها الدفاع عن النفس ، حتى لو أدى إلى قتل الصائل إن تعين ذلك[١٠] ، إلا أن الذي سنتعرض له هنا بقدر التفصيل هو تطبيق يتعلق بالمجال الجماعي الدولي ، وهو موضوع التجسس .

فمن المعروف أن (التجسس) محظور شرعًا ، ومنصوص على منعه في القرآن الكريم والسنة في قوله تعالى : ﴿ولاَ تَجَسَّسُوا وَلاَ يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا﴾ [الحجرات : ١٢] .

وقوله ﷺ : ((ولا تجسسوا ، ولا تحسسوا ، ولا تناجشوا ...)) الحديث[١١] .

وهو كبيرة من الكبائر[١٢] ، إلا أن الدولة قد تضطر - بل هي تضطر فعلاً - إلى ألوان من التجسس لجلب مصالح لا غنى عنها للأمة ، أو دفع مضار لا يجوز التفريط في دفعها ، وفي هذا المجال يحسن ذكر الدراسة القيمة التي قام بها محمد راكان

الدغمي عن (التجسس وأحكامه في الشريعة الإسلامية) إذ ذكر مجالات ثلاثة لما أسماه بالتجسس المشروع هي :

١ - التجسس على الأفراد والجماعات ومعرفة طاقاتهم والإفادة منها :

(ويحتاج الحاكم في معرفته للناس ، وتقصي أخبارهم إلى أجهزة مختصة ، فقد كان نظام البريد في عهد الدولة العباسية ينقل أخبار الأقاليم المختلفة إلى الخليفة ، وكان يقوم به قلم المخابرات في العصر الحديث)[١٣] .

٢ - تجسس الدولة على أهل الريب والمجرمين :

فمن منطلق تأمين الدولة - سياسيًا وأخلاقيًا - ينبغي لها مراقبةٍ أهل الريب ، وعصابات الفساد والإجرام ، ومعرفة خططهم الإفسادية لتوقيها ، (وإذا وقعت الجريمة ولم يظهر المجرم ، فعلى الدولة أن تتجسس وجوبًا حتى يظهر المجرم ، وإن ظن وقوع الجريمة - ولو بقرينة كإخبار الثقة - فإنه يجب التجسس خوفًا من فوات تداركها)[١٤] .

٣ - التجسس على العدو :

وهذا ثابت في السنة وسيرة النبي ﷺ لا يحتاج إلى معاناة استخراج ، فقد بعث النبي صلوات الله عليه عشرة من أصحابه عيونًا يتجسسوا على المشركين[١٥] ، وما من غزاة غزاها أو سرية ابتعثها إلا وصلتنا أنباء تؤكد وجود العيون لاستطلاع أخبار العدو . قال الحافظ ابن حجر بعد حديث صلح الحديبية[١٦] : (فيه استحباب تقديم الطلائع والعيون بين يدي الجيش) .

قال الأستاذ راكان - تعقيبًا على ذلك[١٧] : (فالتجسس على العدو عمل مشروع لحماية الدولة من الاعتداء ، ولتكون الدولة على اطلاع تام بتحركات الأعداء مخططاتهم) .

دعوة ونداء :

وبعد : فها قد رأيت ما تفتقت عنه نظرية الإباحة من عطاء تشريعي في مختلف شنون الحياة ، وهو موضوع يحتاج إلى دراسات عملية جادة ، تسعى نحو تأصيل الفكرة الإسلامية ، والقانون الرباني ، وليس ما ذكرت هذه السطور إلا أمثلة قصد بها التذكير بخطورة قاعدة الإباحة في الشريعة ومدى ملاءمتها لاستيعاب حركة الحياة في مجالات متعددة ، وتأثيرها في القوانين والتشريعات القضائية في مختلف درجات القضاء الحديث . وإنما دعاني إلى تسطير هذه السطور حفز الدارسين إلى تعقب ملامح التشريع الرباني وآثاره في حركة الحياة المعاصرة ، وبث هذه النتائج التي يتوصلون إليها بكل وسائل البث في أمتنا ، عسى أن يجدد الله تعالى لهذه الأمة دينها ، ويعيد إلى عروقها دماء شريعتها من جديد . والله من وراء القصد .

(١) تنبيه الحكام على مآخذ الأحكام ، ابن المناصف ، ط دار التركي ، تونس ١٤٠٨ هـ : ص٣٤١.

(٢) تكملة فتح القدير لابن الهمام ، ط بولاق ٨: ٣٤٨/١٣١٥. (٣) المهذب للشيرازي ، مصورة دار الفكر ، بيروت ١٩٨١: ١٩٥/٢.

(٤) حوادث السيارات وبيان ما يترتب عليها ، اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء ، نشر دار التقوى ، بلبيس ، مصر (د . ت) ص٨، ٩.

(٥) حوادث السيارات : ص ١٠ . (٦) حوادث السيارات بيان وما يترتب عليها ، اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء .

(٧) معجم فقه ابن حزم الظاهري ، لجنة موسوعة الفقه الإسلامي بجامعة دمشق ص ٣٤٥. (٨) بدائع الصنائع للكاساني ، ط الجمالية ، مصر ٦١/٥، ٦٢.

(٩) المجموع للنووي ، ط دار الفكر ، بيروت ٤٩/٩. (١٠) المغني لابن قدامة ، ط المنار ٣٣٠/٨.

(١١) أخرجه الشيخان وغيرهما ، البخاري ، كتاب النكاح ، كتاب الأدب ، ومسلم ، كتاب البر والصلة ، والمسند للإمام أحمد ٢٨٧/٢، ٣٤٢.

(١٢) الكبائر للذهبي ، ط مكتبة حميدو ص١٣٧، بعنوان : التسمع على الناس ما يسرون ، وكذلك عدها ابن القيم وابن النحاس كبيرة ، راجع معجم الكبائر ، رجاء بن محمد المصري ، ط الفاروق للطباعة ١٤٠٩هـ ص١١١.

(١٣) التجسس وأحكامه في الشريعة الإسلامية ، محمد راكان الدغمي ط دار السلام للطباعة والنشر ١٤٠٦هـ ، ص١١٩.

(١٤) المرجع السابق ١٢٩. (١٥) البخاري كتاب المغازي فتح الباري ، السلفية ٢٨٢/٨، والمسند للإمام أحمد ٣١٠/٢.

(١٦) البخاري ، كتاب المغازي ، باب صلح الحديبية . (١٧) فتح الباري ، الإحالة السابقة .

رسالة إلى من فاته الحج

بقلم الشيخ / مجدي قاسم

يقول الله تعالى : ﴿ وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالاً وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ۞ لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ عَلَى مَا رَزَقَهُم مِّن بَهِيمَةِ الأَنْعَامِ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ ۞ ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ ﴾ [الحج : ٢٧- ٢٩] .

وما زال الناس إلى اليوم ، بل إلى قيام الساعة يلبون نداء إبراهيم عليه السلام ، يرفعون أصواتهم بالتلبية : « لبيك اللهم لبيك » ، يشدُّهم الحنين والشوق الدائم الذي لا ينقطع إلى بيت الله الحرام ، وقد تعلقت به قلوبهم ؛ مصداقًا لدعوة أبي الأنبياء إبراهيم عليه السلام ، كما قال تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ الأَصْنَامَ ۞ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۞ رَّبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلاَةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُم مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴾ [إبراهيم : ٣٥- ٣٧] .

قال ابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبير وغيرهم : (لو قال : (أفئدة الناس) لازدحم عليه فارس والروم واليهود والنصارى والناس كلهم ، ولكن قال : ﴿ من الناس ﴾ ، فاختص به المسلمون) . [« تفسير ابن كثير » : (٥٤١/٢)] .

وقال ابن كثير (٢١٦/٣) : (فليس أحد من أهل الإسلام إلا وهو يحنُّ إلى رؤية الكعبة والطواف ، والناسُ يقصدونها من سائر الجهات والأقطار) .

فما زال المسلمون يترددون إلى بيت الله الحرام يعكفون فيه ، ويرجعون عنه ولا يرون أنهم قضوا وطرهم منه ، فهو أشرف بناية على وجه الأرض في أطهر بقعة مباركة ، ذكره الله في كتابه بأعظم ذكر وأجلّ وصف وأفخم تعظيم وثناء ، فقال تعالى : ﴿ وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَاتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ۞ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُم بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلاً ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَى عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ۞ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ [البقرة :

١٢٥- ١٢٧] ، وقال تعالى : ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ ۞ فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَن دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا ﴾ [آل عمران : ٩٦، ٩٧] ، وقال تعالى : ﴿ وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ۞ وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴾ [الحج : ٢٦، ٢٧] .

فيا حسرة من انقطع عن الوصول إلى هذا البيت ! ويزداد حزنه وقلقه وهو يرى السائرين إلى تلكم الديار المباركة ، الواصلين إلى بيت الله الحرام ، وهو منقطع عن الوصول ، قاعد محزون ، فما يؤمّنه أن يكون ممن : ﴿ كَرِهَ اللَّهُ انبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ ﴾ [التوبة : ٤٦] ، نعوذ بالله من الخذلان .

ويزداد حزن مَن شاهد - من قبل - تلك الديار ، وعاين تلك الآثار ، ثم انقطع عنها ، فيموت أسفًا عليها والحنين إليها ، ويؤرقه الشوق المقلق والحنين الجارف إلى هاتيك الديار ، ويقتله البعد .

قالوا : اصبر وليس ذا في وسعي

يا حزن أقِم وأنت سِرْ يا دمعي

بالرغم من علمه بأن حج الفريضة إنما هو مرة واحدة في العمر كما جاء في حديث أبي هريرة ، رضي الله عنه ، فقال : خطبنا رسول الله ﷺ فقال : ((أيها الناس ، قد فرض الله عليكم الحج فحجوا)) ، فقال رجل - جاء في الروايات الأخرى أنه الأقرع بن حابس - أكلَّ عام يا رسول الله ؟ فسكت ، حتى قالها ثلاثًا ، فقال رسول الله ﷺ : ((لو قلتُ : نعم ، لوجبت ، ولما استطعتم)) . ثم قال : ((ذروني ما تركتكم ، فإنما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم ، فإذا أمرتكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم ، وإذا نهيتكم عن شيء فدعوه)) . [رواه مسلم : (ح١٣٣٧)] .

ولم لا يحزن ويأسف مثل هذا المنقطع ، بل ويبكي على ما فاته من الدرجات العُلى والنعيم المقيم ، والله تبارك وتعالى يقول : ﴿ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ ﴾ [البقرة : ١٤٨، والمائدة : ٤٨] ، وقال تعالى : ﴿ وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ [آل عمران : ١٣٣] ، وقال تعالى : ﴿ سَابِقُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴾ [الحديد : ٢١] .

فصاحب الهمة العالية والنفس الشريفة توّاق إلى الجنة ، بل إلى الدرجات العلى منها ، لا يرضى بغير ذلك بديلاً ، يحزن لفوات درجة من درجات الآخرة أو حسنة صالحة ربما تكون هي الفارق بين درجة وأخرى ، والفرق بين الدرجة والدرجة في الجنة كما بين السماء والأرض ، كما ينظر أحدنا إلى الكوكب الدري في السماء ،

ولذا فكلما رأى حسنة طار إليها بأجنحة الشوق ويحزنه انقطاعه عنها ، فهمه أن يكون من السابقين ومعهم : ﴿ وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ ﴾ [المطففين : ٢٦] .

قال وهيب بن الورد : إذا استطعت ألا يسبقك إلى الله أحدٌ فافعل .

وقال بعض السلف : لو أن رجلاً سمع برجل أطوع للّه منه فانصدع قلبه ، فمات ، لم يكن ذلك بعجب !!

وقال الحسن البصري : إذا رأيت الرجل ينافسك في الدنيا ، فنافسه في الآخرة .

ولذا يقول النبي ﷺ : ((لا حسد إلا في اثنتين : رجل آتاه اللّه مالاً فسلّط على هلكته في الحق[1] ، ورجل آتاه اللّه الحكمة فهو يقضي بها ويعلّمها)) . [رواه البخاري (ح٧٣) ، ومسلم (ح٨١٦)] .

وعن أبي كبشة الأنماري أنه سمع رسول اللّه ﷺ يقول : ((إنما الدنيا لأربعة نفر : عبدٍ رزقه اللّه مالاً وعلمًا ، فهو يتقي ربَّه فيه ، ويصل به رحمه ، ويعلم للّه فيه حقًا ، فهذا بأفضل المنازل ، وعبدٍ رزقه اللّه علمًا ولم يرزقه مالاً ، فهو صادق النية يقول : لو أن لي مالاً لعملت فيه بعمل فلان فهو بنيته ، فأجرهما سواء ، وعبدٍ رزقه اللّه مالاً ولم يرزقه علمًا ، فهو يَخْبِطُ في ماله بغير علم ، لا يتقي فيه ربه ، ولا يصل فيه رحمه ، ولا يعلم للّه فيه حقًا ، فهذا بأخبث المنازل ، وعبدٍ لم يرزقه مالاً ولا علمًا ، فهو يقول : لو أن لي مالاً لعملت فيه بعمل فلان فهو بنيته ، فوزرهما سواء)) . [رواه الترمذي (ح ٢٣٢٥) ، وابن ماجه (٤٢٢٨) ، وأحمد (٤/٢٣٠، ٢٣١)] .

ولذا فالمتخلف عن الحج شريك للسائر إليه طالما كان تخلفه لعذر ، كما قال النبي ﷺ : ((إن بالمدينة أقوامًا ما سرتم مسيرًا ، ولا قطعتم واديًا ، إلا كانوا معكم ، حبسهم العذر)) . [متفق عليه] .

ولذا يقول الشاعر :

يا سائرين إلى البيت العتيق لقد
سرتم جسومًا وسرنا نحن أرواحا
إنا أقمنا على عذرٍ وقد رحلوا
ومن أقام على عذرٍ كمن راحا

فأجر من عجز عن العمل ، وحزن لفواته ، وتمنى حصوله ، مثل أجر العامل ، سواء بسواء ، لا يَنقص ذلك من أجر العامل شيئًا ، وكذلك في الوزر .

قال المباركفوري في ((تحفة الأحوذي)) : (فأجر من عقد عزمه على أنه لو كان له مال أنفق منه في الخير ، وأجر من له مال ينفق منه ، سواء ، ويكون أجر العلم زيادة له) .

ولذا كان الصحابة رضوان اللّه عليهم أجمعين هم أول المتسابقين إلى الخيرات ، وكان رأسهم هو صديق هذه الأمة أبو بكر ، رضي اللّه عنه ، فيقول عمر بن الخطاب ، رضي اللّه عنه : (ما سابقت أبا بكر إلى خير إلا وسبقني إليه) .

فالعجب كل العجب من أصحاب النفوس الدنية الخسيسة المتكالبين على الدنيا ، المتهافتين عليها كالفراش الذي يتهافت على النار فيحترق بها .

قال الشبلي : (من ركن إلى الدنيا أحرقته بنارها ، فصار رمادًا تذروه الرياح ، ومن ركن إلى الآخرة أحرقته بنورها ، فصار سبيكة ذهب ينتفع به ، ومن ركن إلى اللّه أحرقه نور التوحيد ، فصار جوهرًا لا قيمة له) ؛ أي معدنًا نفيسًا لا يقدر بثمن .

فكيف لا يتسابق المسلم إلى الحج وهو يسمع حديث أبي هريرة ، رضي اللّه عنه ، قال : قال رسول اللّه ﷺ : ((من حج

(١) أي إنفاقه في الطاعات .

فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه)) . [متفق عليه] .

وأيضًا قوله ﷺ : ((العمرة إلى العمرة كفارة لما بينهما ، والحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة)) . [متفق عليه] .

وعن عائشة ، رضي اللَّه عنها ، قالت : استأذنتُ النبي ﷺ في الجهاد ، فقال : ((جهادُكنَّ الحج)) . [متفق عليه] .

وعن ابن مسعود ، رضي اللَّه عنه ، قال : قال رسول اللَّه ﷺ : ((تابعوا بين الحج والعمرة ، فإنهما ينفيان الفقر والذنوب كما ينفي الكيرُ خَبَثَ الحديد والذهب والفضة ، وليس للحجة المبرورة ثوابٌ إلا الجنة)) . [رواه الترمذي والنسائي ، وهو صحيح بطرقه] .

وعن أبي هريرة ، رضي اللَّه عنه ، قال : سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول : ((وفد اللَّه ثلاثة : الغازي ، والحاج ، والمعتمر)) . [رواه النسائي بإسناد حسن] .

وعن جابر ، رضي اللَّه عنه ، عن رسول اللَّه ﷺ أنه قال : ((الحجَّاج والعُمَّار وفد اللَّه ، دعاهم فأجابوه ، وسألوه فأعطاهم)) . [وهو حديث حسن ، كما في ((الصحيحة)) للألباني (ح١٨٢٠)] .

وعن أبي هريرة ، رضي اللَّه عنه ، قال رسول اللَّه ﷺ : ((ثلاثة في ضمان اللَّه عز وجل : رجل خرج إلى مسجد من مساجد اللَّه عز وجل ، ورجل خرج غازيًا في سبيل اللَّه تعالى ، ورجل خرج حاجًّا)) . [رواه أبو نعيم في ((الحلية)) ، كما في ((الصحيحة)) للألباني (ح٦٠٠)] . إلى آخر هذه الأحاديث التي تبين فضل الحج وأهله .

ولكن لا بد أن ننبه إلى أن أداء الواجبات كلِّها أفضل من التنفل بالحج والعمرة وغيرها ، فكما جاء في حديث النبي ﷺ عن الولي في الحديث القدسي قال : ((وما تقرَّب إليَّ عبدي بشيء أحب إليَّ مما افترضته عليه)) . [رواه البخاري] .

فإنه ما تقرب العباد إلى ربهم بأفضل وأحب إليه منْ أداء الواجبات التي افترضها عليهم ، وكثير من الناس - وللأسف الشديد - لا يتنبهون لهذا ، فيكثرون من التنفل مثلاً بالصدقات والحج والعمرة ، ولا يؤدون ما عليهم من حقوق وديون وأمانات ومظالم للناس ، وكثير من الناس يُكثرون من التطوع في الحج والعمرة ، ويغفلون عن كفَّ الجوارح عن المحرمات ، فحبس اللسان - مثلاً - عن الخوض في أعراض الناس والوقوع في الكذب والغيبة والنميمة أفضل من التطوع بالحج والجهاد .

قال بعضهم : عجبًا لمن يقطع المفاوز والقفار ؛ ليصل إلى البيت فيشاهد فيه آثار الأنبياء ، كيف لا يقطع هواه ليصل إلى قلبه .

وعلى من فاته الحج وعجز عنه ، أن يحرص على أداء تلك الأعمال التي يبلغ أجرها أجر الحج ، كما في حديث النبي ﷺ : ((من صلى الغداة في جماعة ، ثم قعد يذكر اللَّه حتى تطلُع الشمس ، ثم صلى ركعتين ، كانت له كأجر حجة وعمرة : تامة ، تامة ، تامة)) . [رواه الترمذي (ح٥٨٦) ، وغيره ، وانظر رسالتي ((الفضائل العشر لشهود صلاة الفجر))] . وكما في حديث أبي أمامة ، رضي اللَّه عنه ، عن رسول اللَّه ﷺ قال : ((من خرج من بيته متطهرًا إلى صلاة مكتوبة ، فأجره كأجر الحاج المحرم ، ومن خرج إلى تسبيح الضحى ، لا ينصبه إلا إياه ، فأجره كأجر المعتمر ، وصلاةٌ على أثر صلاة لا لغوَ بينهما كتابٌ في عليين)) . [رواه أبو داود (ح٥٥٨) ، وحسَّنه الألباني في ((صحيح الجامع)) (ح٦٢٢٨)] .

وفي رواية : ((من مشى إلى صلاة مكتوبة في الجماعة فهي كحجة ، ومن مشى إلى صلاة تطوع فهي كعمرة نافلة)) . [رواه الطبراني ، وحسّنه الألباني في ((صحيح الجامع)) (ح٦٥٥٦)] .

فإن الإنسان قد يعجز عن أداء الحج في العُمر مرة ، فيستطيع أن يحصل على ثواب خمس حجات كل يوم ، وفضل اللّه أعظم ، ويقول النبي ﷺ : ((عُمرة في رمضان تعدل حجة)) . [متفق عليه ، وانظر ((إرواء الغليل)) (ح٨٦٩، ١٥٨٧) ، وفي رواية : ((عمرة في رمضان كحجة معي)) . انظر ((الإرواء (ح١٥٨٧)))] .

وهناك من الأعمال ينال صاحبها ثواب عُمرة ، مثل قول النبي ﷺ : ((الصلاة في مسجد قباء كعُمرة)) . [رواه أحمد والترمذي وابن ماجه ، انظر ((صحيح الجامع)) (ح٣٨٧٢)] .

وقوله ﷺ : ((من تطهّر في بيته ، ثم أتى مسجد قباء فصلى فيه ، كان له كأجر عُمرة)) . [رواه ابن ماجه وغيره ، انظر ((صحيح الجامع)) (ح٦١٥٤)] .

مع التنبه إلى أن هذه الأعمال لا تُجزئ عن أداء الفريضة لمن استطاع إلى ذلك سبيلاً .

وإذا كان الجهاد في سبيل اللّه أفضل من الحج كما في حديث أبي هريرة ، رضي اللّه عنه ، قال : سُئل رسول اللّه ﷺ : أي العمل أفضل ؟ قال : ((إيمانٌ باللّه ورسوله)) . قيل : ثم ماذا ؟ قال : ((الجهاد في سبيل اللّه)) . قيل : ثم ماذا ؟ قال : ((حجٌّ مبرور)) . [متفق عليه] .

فقد جعل النبي ﷺ العمل الصالح في أيام العشر من ذي الحجة أفضل من الجهاد ، فعن ابن عباس ، رضي اللّه عنهما ، عن النبي ﷺ قال : ((ما من أيامٍ العملُ الصالح فيها أحبُ إلى اللّه من هذه الأيام - يعني أيام العشر)) . قالوا : يا رسول اللّه ، ولا الجهاد في سبيل اللّه ؟ قال : ((ولا الجهادُ في سبيل اللّه ، إلا رجل خرج بنفسه وماله ، ثم لم يرجع من ذلك بشيء)) . [رواه البخاري (ح ٩٦٩)] .

فعلى المسلم أن يكثر من الأعمال الصالحة في الأيام العشر ؛ فيصوم نهارها ، ويقوم ليلها ، ويكثر من الذكر والصدقة وسائر الأعمال الصالحة .

ويوجه ابنُ رجب الحنبلي ، رحمه اللّه ، رسالةً إلى من حُبس عن الحج هذا العام فيقول في ((لطائف المعارف)) : (إخواني ، إن حُبستم العام عن الحج فارجعوا إلى جهاد النفوس ، فهو الجهاد الأكبر[1] ، أو أُحصرتم عن أداء النسك فأريقوا على تخلفكم من الدموع ما تيسر ؛ فإن إراقة الدماء لازمة للمُحْصَر ، ولا تحلقوا رءوس أديانكم بالذنوب ؛ فإن الذنوب حالقة الدين ليست حالقة الشعر ، وقوموا للّه باستشعار الرجاء والخوف مقام القيام بأرجاء الخيف والمَشْعَر[2] ، ومن كان قد بَعُدَ عن حرم اللّه ، فلا يُبعد نفسه بالذنوب عن رحمة اللّه ، فإن رحمة اللّه قريبٌ ممن تاب إليه واستغفر . ومن عجز عن حج البيت أو البيت منه بعيد ، فليقصد ربَّ البيت ؛ فإنه ممن دعاه ورجاه أقرب من حبل الوريد) .

وعلى اللّه قصد السبيل ، والحمد للّه رب العالمين .

---

(١) ننبه على عدم صحة حديث : ((رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر : جهاد النفس)) . فتنبه .

(٢) المقصود : مسجد الخيف بمنى ، والمشعر الحرام : المزدلفة .

أسماء الفائزين بالجوائز بمسابقة التوحيد الكبرى

الحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله ، وبعد :

فهذا بيان لبقية أسماء الفائزين بجوائز مسابقة التوحيد الكبرى .

مع خالص التهنئة للفائزين .

الاسم	الدرجة	الترتيب	الجائزة	العنوان
رمزي السعيد إبراهيم الأشقر	٧٤,٠٠	(٦١)	خمس كتب	١٦٨ ش عمر بن الخطاب ميت غمر دقهلية
صبرين سيد أحمد عبد الحميد	٧٤,٠٠	(٦٢)	خمس كتب	مجاورة ١٣ - قطعة ٧٧ - العاشر من رمضان
سمية عبد الراضي أمين سليم	٧٤,٠٠	(٦٣)	خمس كتب	٢ش مجدي غباشي من أحمد عصمت عين شمس
مجدي شبل زكي منصور	٧٣,٠٠	(٦٤)	خمس كتب	أم صالح - بركة السبع - منوفية
أيمن جابر محمود الجزار	٧٣,٠٠	(٦٥)	خمس كتب	ش الصاغة - الشهداء - منوفية
حسين حفني بنداري الجيزاوي	٧٣,٥	(٦٦)	خمس كتب	قرية العدلية - مركز بلبيس - الشرقية
محمد علي أحمد السيد كليب	٧٣,٥	(٦٧)	خمس كتب	قرية منشأة عباس - سيدي سالم - كفر الشيخ
عاطف عراقي حسن بدوي	٧٣,٥	(٦٨)	خمس كتب	ميت يزيد - منيا القمح - شرقية
محمد صبحي طه السيد النجار	٧٣,٢٥	(٦٩)	خمس كتب	١ ش عبد الله النجار - من ش العمدة الهرم
أحمد ماهر صلاح أحمد	٧٣,٢٥	(٧٠)	خمس كتب	١١ ش العراقي - مركز تلا - منوفية
أبو بكر صنبع أبو قفة	٧٣,٠٠	(٧١)	خمس كتب	١ ش أسامة بن زيد - نفق الهرم - عمرانية - شرقية
عبد القادر فاروق محمد خليل	٧٣,٠٠	(٧٢)	خمس كتب	٤ ش نصر سليمان - حدائق المعادي
عماد مصطفى إبراهيم دسوقي	٧٣,٠٠	(٧٣)	خمس كتب	٢٦ ش عبد الله حمزة - قسم النحال - الزقازيق
أحمد حسن أحمد أبو حليمة	٧٢,٧٥	(٧٤)	خمس كتب	السنبلاوين - الإدارة الزراعية
جابر فارس أبو زيد جاد	٧٢,٧٥	(٧٥)	خمس كتب	الإسكندرية - وادي القمر - خلف المستشفى
أهاب إبراهيم عبد الرحمن متولي	٧٢,٧٥	(٧٦)	خمس كتب	ميت حمل - مركز بلبيس - شرقية
محمد السيد حسنين جاد	٧٢,٥	(٧٧)	خمس كتب	٦ أكتوبر الحي السادس - مجاورة ٤ عمارة ١٢١ شقة ١
محمد سيد شلبي محمد	٧٢,٢٥	(٧٨)	خمس كتب	بورسعيد - ش الجيزة والأنصار عطفة الجيزة - العربي

الاســـم	الدرجة	الترتيب	الجائزة	العنـــــوان
عبد المنعم مصباح خير الله	٧٢,٠٠	(٧٩)	خمس كتب	بني سلامة - وادي النطرون - بحيرة
رضا موسى إبراهيم بهنسي	٧٢,٠٠	(٨٠)	خمس كتب	قرية تراك - مركز أولاد صقر - شرقية
حسني محمد صابر السيد	٧٢,٠٠	(٨١)	خمس كتب	كفر سليمان - شبين القناطر - قلوبية
السعيد محمد أبو النصر	٧٢,٠٠	(٨٢)	خمس كتب	العاشر من رمضان مج ١٥ ع ٢/٣٠ شقة ١٥
عبد المنعم موسى أحمد أحمد	٧١,٥	(٨٣)	خمس كتب	٨ ش عبد الرءوف محمود من ش العبور حدائق حلوان
سيد رمضان محمد إبراهيم	٧١,٥	(٨٤)	خمس كتب	١٦ حارة نجم الدين - السيدة زينب
محمد فولي علي فرج	٧١,٥	(٨٥)	خمس كتب	بني سويف مركز الفشن منشأة ناصر سيد الإبراهيمية
أسامة الإمام المتولي عبد الخالق	٧١,٥	(٨٦)	خمس كتب	قرية الشهابية - بلطيم - كفر الشيخ منزل ٣٢٣
بهجت عبد الله ملاقي	٧١,٢٥	(٨٧)	خمس كتب	مسجد التوحيد - بلبيس
أيمن محمد عبد المجيد محمد	٧١,٠٠	(٨٨)	خمس كتب	١٨ ش عارف متفرع من ش أحمد حلمي شبرا- القاهرة
البسمي شحاتة علي	٧٠,٧٥	(٨٩)	خمس كتب	قرقيرة - السنبلاوين - الدقهلية
إبراهيم محمود عبد الراضي	٧٠,٥	(٩٠)	خمس كتب	٦٤ ش الريف - غيط العنب - إسكندرية
عبد الستار فتحي سيد أحمد سحيم	٧٠,٥	(٩١)	خمس كتب	منيا القمح- الإدارة الزراعية - الشرقية
سعد الدين محمود عطية محمد	٧٠,٠٠	(٩٢)	خمس كتب	المرج - ش المركز الاجتماعي منزل الحاجة باتعة
عبد المنعم شوقي عبد المنعم	٧٠,٠٠	(٩٣)	خمس كتب	مطوبس - كفر الشيخ - ش بورسعيد
عصام الدين أحمد فايز علي	٧٠,٠٠	(٩٤)	خمس كتب	٩ مكرر - درب البهلوان - السيدة زينب
محمد محمود أمين الجندي	٧٠,٠٠	(٩٥)	خمس كتب	قرية درشابة - مركز الرحمانية - بحيرة
فاطمة محمد فاروق عيسى	٦٩,٥	(٩٦)	خمس كتب	٣٨ ش محمد أبو النجا من ش العشرين زهراء عين شمس
سعيد علي محمد عوض الله	٦٩,٥	(٩٧)	خمس كتب	العطف - مركز العياط - الجيزة
ياسر سليمان أبو شادي	٦٩,٢٥	(٩٨)	خمس كتب	الغربية - مركز قطور البلد- ش الشيخ عمرو
أحمد موسى السيد جاب الله	٦٩,٠٠	(٩٩)	خمس كتب	التل الكبير - البلد - الإسماعيلية - ش الجاويش
جودة محمد محمد علي حسن	٦٩,٠٠	(١٠٠)	خمس كتب	بنها - بتمدة - منشأة دياب

❋ على الإخوة الفائزين التوجه إلى قسم التوزيع والإهداء بالمركز العام ، عقب صلاة الظهر يوم الأحد الأول من شهر المحرم ١٤٢٠ هـ ، ومعهم إثبات الشخصية .

❋ جميع المشتركين في المسابقة الذين لم تذكر اسماؤهم فيما نشر بأعداد المجلة عليهم إرسال خطابات على عنوان المجلة تفيد رغبتهم في الحصول على مجموعة كتب مجانًا أو اشتراك بالمجلة لمدة سنتين مجانًا .

والله وليّ التوفيق .

من روائع الماضي :

الأمير نايف بن عبد العزيز آل سعود

في ضيافة جماعة أنصار السنة المحمدية

في الساعة الرابعة من مساء يوم الاثنين الموافق ١٦ شعبان ١٣٧٣ (١٩ إبريل ١٩٥٤) حفلت دار الجماعة بكبار الشخصيات من رجال العروبة والعلماء والأدباء والصحافة انتظارًا لمقدم سمو الأمير نايف بن عبد العزيز آل سعود الذي دعته الجماعة لزيارتها ، وكان في مقدمة الحاضرين السادة : الشيخ حافظ وهبة سفير المملكة العربية السعودية في لندن ، والشيخ عبد الله الفضل سفير المملكة العربية السعودية بمصر ، وجواد ذكري الوزير المفوض بالسفارة السعودية ، وعلي المؤيد سفير المملكة اليمنية ، وأحمد رمزي سفير مصر الجديد في تركيا ، ومفتي الجزائرلي وزير الأوقاف السابق ، ومحمود عبد اللطيف وكيل وزارة الأوقاف والدكتور على زين العابدين مدير إدارة الاستعلامات بوزارة الإرشاد القومي .

وفي الساعة الرابعة والنصف وصل سمو الأمير نايف ، وكان في استقبال سمو الأمير فضيلة الشيخ محمد حامد الفقي الرئيس العام للجماعة ، والأستاذ الشيخ عبد الرحمن الوكيل - وكيل الجماعة - وأعضاء مجلس إدارة المركز العام والمشرف العام لجماعة أنصار السنة المحمدية بالإسكندرية والأستاذ عبد الحليم محمد حمودة ، ورئيس الجماعة بطنطا الشيخ محمد خليل هراس ، وقد صافح سمو الأمير المستقبلين ، وبعد ذلك انتقل الجميع إلى الصالة التي أعدت بها موائد حفلة الشاي الفاخرة التي أقامتها الجماعة احتفالاً بسمو الأمير .

وقد تناول الحاضرون الشاي ، ثم ألقيت عدة كلمات للترحيب بالأمير السعودي ، ثم نهض سمو الأمير نايف وألقى كلمة قيمة حيا فيها أنصار السنة المحمدية في كل مكان ، وقال : إن هذه دارنا وأنتم أخواننا ، وإذا كان فضيلة الشيخ عبد الله آل إبراهيم الفضل سفيرنا السياسي في القاهرة ، فأنتم سفراؤنا الدينيون في كل مكان ، وختم سمو الأمير كلمته بشكر الجماعة لدعوتها الكريمة .

ثم أعلن فضيلة الرئيس العام أن صاحب السمو الأمير نايف تبرع بمبلغ مائتي جنيه سنويًّا للجماعة ، ثم أعلن اعتذار السيد رئيس الجمهورية عن الحفل لمرضه واعتذار البكباشي أركان حرب جمال عبد الناصر رئيس الوزراء عن الحضور ؛ لسفره إلى كفر الدوار .

مطابع دار الطباعة والنشر الإسلامية/العاشر من رمضان/المنطقة الصناعية ب٢ تليفاكس : ٣٦٢٣١٣ - ٣٦٣٣١٤ .

دعوة الجمعية العمومية العادية للانعقاد

قرر مجلس إدارة المركز العام بجلسته المنعقدة بتاريخ ١٩٩٩/٢/٢٨ م دعوة الجمعية العمومية العادية للجماعة لدورة الانعقاد العادي بالمركز العام عقب صلاة الظهر يوم الخميس الموافق ١٩٩٩/٥/٢٧م ، وذلك للنظر في جدول الأعمال الآتي :

١- مناقشة تقرير مجلس الإدارة السنوي عن الفترة من ١٩٩٨/١/١ م وحتى ١٩٩٨/١٢/٣١ م .

٢- عرض حسابات الإيرادات والمصروفات والميزانية عن عام ١٩٩٨ م .

٣- انتخاب سبعة أعضاء من بين المرشحين لعضوية مجلس الإدارة بدلاً ممن حل عليهم الإسقاط السنوي .

٤- انتخاب الرئيس العام ونائبه .

٥- تعيين مراقب الحسابات عن عام ١٩٩٩ م .

هذا ، وقد تقرر فتح باب الترشيح لعضوية مجلس الإدارة في الفترة من ١٩٩٩/٤/١ م حتى ١٩٩٩/٤/١٠ م ، على أن تسلم طلبات الترشيح مشفوعة بصورة معتمدة من مجلس إدارة الفرع الذي تم اختيار العضو ممثلاً له ، على أن يكون هذا العضو من بين الممثلين للفرع في الجمعية العمومية ، وأن يكون قد مضى على عضويته بالفرع ستة أشهر على الأقل ، ويكون الطلب مشتملاً على الآتي :

١- الاسم رباعي . ٢- محل الإقامة . ٣- رقم البطاقة .

٤- السن وتاريخ الميلاد . ٥- الوظيفة ومحل الميلاد . ٦- المؤهل الدراسي ، إن وجد .

٧- صفة العضو بمجلس إدارة فرعه .

ونسأل الله تعالى أن يجمع كلمتنا لنصرة التوحيد ، وأن يؤلف بين قلوبنا ، إنه نعم المولى ونعم النصير .

والله من وراء القصد ، وهو يهدي السبيل .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

السكرتير العام

أبو العطا عبد القادر محمود

مكتبة دار الصحابة

يسعدها أن تقدم أول مكتبة متخصصة لتنفيذ الوسائل التعليمية التربوية المصورة لجميع المراحل التعليمية وتشمل :

لوحات :

اللغة العربية
اللغة الانجليزية
جسم الانسان
العلوم
الدراسات والخرائط
التجويد والقراءات
الكمبيوتر والإنترنت
الإحصائى الاجتماعى
الأحياء والفيزياء والكمياء
الكشافة

لوحات :

الإسعافات الأولية
الرياضيات
اللوحات الإسلامية
الأنشطة
اللياقة البدنية
السلوكيات
المجال الزراعى والصناعى
الاقتصاد المنزلى
شهادات النجاح والتقدير
لوحات الحائط
الخط العربى

طنطا ش المديرية أمام محطة بنزين التعاون ص.ب ٤٧٧ ت/ ٣٣١٥٨٧ تليفاكس ٣١٢٢٧١